
اجاثا كريستي
مأساة
ذات ثلاثة فصول



أجاثا كريستي

{1976 - 1890}

-الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى 103 لغات.

– بيع من كتبها أكثر من 900 مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

– كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصَّبها ملكة عليهم جميعًا. تميَّزت أيضًا بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضًا أهدافًا إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

مأساة ذات ثلاثة فصول
Three-Act Tragedy

يَصلُ ثلاثةَ عشرَ ضيفًا لتناول العشَاء في مَنزل صَاحبهم ومُضيفهم الممثّل المبجّل «تشارلز كارتر هوايت»، وللأسَف لم تكن السهرةُ سارَّة بالنسبة إلى القس «ستيفن بابنجتون» فَفي أثناء تَناوله لمشْروب الكوكتيل تَقلَّص وجْهُه، وسقَطَ ميتًا. وحين أُرسل كأسه لإجراء التحْليل الكيميائي له، أسْفَر التحليلُ عن عدم وجُود أيّ أثر للسُّم فيه كما توقّع المفتشُ «بوارو» ذلك – بَل الأدْهى من ذلك أنَّه لا يُوجد أيُّ دافع للجَريمة... وتتكَرر الجريمَة مرةً ثانية بالطريقة نفسها في وجود الأشْخاص أنفُسهم، ثم تحْدثُ المأساةُ الثالثة، وعلى الرغم من حُدوث ثلاث جَرائم مُتتالية إلا أنَّ الدوافع لهذه الجَرائم تظلّ مَجْهولة.

ثمن الكتاب

البلد	الثمن	البلد	الثمن
لبنان	5000 ل.ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	100 ل.س.	عُمان	1.5 ريال
الأردن	1.5 دينار	مصر	10 جنيهات
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	5 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1.5 دينار	اليمن	400 ريال


9 789953 383682

مأساة ذات ثلاثة فصول

برنارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرَّبة

مأساة ذات ثلاثة فصول

(77)

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب الراحل

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

دار ميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

ص.ب 374 جونيه – لبنان

تلفون 666 212 9 961 00 فاكس 665 212 9 961 00

www.inter-press.org Email:info@inter-press.org

وكلاء التوزيع

المركز الدولي للصحافة – دار البشير – دار إي بي سي

الاسم الأصلي للرواية

Three Act Tragedy

(1934)

الغلاف بريشة الفنان

عبد العال

الفصل الأول
الشك

-1-

كان السيد "**ساترزويت**" جالسًا في شرفة البيت الريفي الذي يسمَّى "**عش الغراب**"، يراقب مضيفه السيد "**تشارلز كارتر هوايت**" وهو يتسلق الطريق الصاعد من شاطئ البحر.. وكان "**عش الغراب**" بيتًا أبيض اللون، لا يوحي منظره الخارجي بضخامة حجمه الحقيقي، واستمد اسمه من ذلك المكان المرتفع الذي يطل على ميناء "**لوماوث**".. يبعد "**عش الغراب**" مسافة كيلو متر عن المدينة، ويتعرج الطريق الصاعد من البحر، ويقطعه الإنسان سيرا على الأقدام في سبع دقائق، وهو الممر الذي كان يسير فيه الآن السيد "**تشارلز**"..

والسيد "**تشارلز**" رجل قوي البنية في منتصف العمر، لفحته الشمس، يميل بعض الشيء في مشيته، تبدو يداه نصف مغلقتين في أثناء المشي. ويخيل إلى الرائي عندما يراه لأول وهلة أنه بحار.. أما السيد "**ساترزويت**" فهو رجل ضئيل الحجم، من عشاق الفن والمسرح، توجه إليه الدعوة دائمًا إلى الحفلات الاجتماعية، وإن كان اسمه يأتي في ذيل قائمة المدعوين، وهو على قدر كبير من الذكاء وقوة الملاحظة للناس والأشياء.. همس "**ساترزويت**" لنفسه:

«لم يكن ذلك ليخطر ببالي.. حقًا لم أفكر في ذلك». أدار بصره نحو الرجل الذي جلس على المقعد المجاور.. وكان شكله يكشف عن مهنته كطبيب ناجح في شارع "**هارلي**".. كان السيد "**بارثلوميو سترينج**" طبيبا إخصائيا معروفًا في الاضطرابات العصبية، وكان قد تلقى الدعوة لحضور حفل عيد الميلاد.. قال الطبيب:

– ما الذي لم تفكر فيه؟ أجاب "**ساترزويت**" باسمًا:

– لم أفكر في أن السيد "**تشارلز**" سوف يبقى في المنفى طويلا. ضحك الطبيب قائلا:

– أنا أيضا لم أكن لأتوقع ذلك.. لقد عرفت "**تشارلز**" منذ كان صبيًّا.. وكنا في "**أكسفورد**" معا.. كان كما عرفته دائما.. ممثلا أفضل في الحياة الخاصة عنه فوق خشبة المسرح، يمثل دائمًا؛ لأن تلك هي طبيعته، وهو يحب أن يغير الدور الذي يلعبه بين الحين والحين. تقاعد عن المسرح منذ عامين، وقال إنه يرغب في الحياة البسيطة في الريف بعيدا عن العالم.. جاء إلى هنا وبنى هذا البيت.. وزوده بثلاثة حمامات، وكل أساليب الراحة من حجرات مزودة بالماء الساخن والبارد والتكييف المركزي.. ظننت أنه لن يطيق هذه الحياة طويلا.. فهو إنسان يحتاج إلى جمهور.. جمع حوله بعض البحارة المتقاعدين، وحفنة من النساء العجائز وراعي كنيسة.. ظننت أن عشقه للبحر لن يستمر أكثر من ستة أشهر، وأنه سرعان ما يحن إلى التغيير، فيذهب إلى "**مونت كارلو**" أو أحد الأماكن الجبلية.. فأنا أعرف أن "**تشارلز**" متقلب الأطوار. سكت الطبيب وهو ينظر إلى الرجل الصاعد من أسفل، وينتظر أن ينضم إليهما في خلال دقيقة أو دقيقتين، ثم استرسل يقول:

– على أية حال، كنا مخطئين، إذ يبدو أن الحياة البسيطة استهوته. قال السيد "**ساترزويت**":

– كثيراً ما يساء الحكم على الرجل الذي يجعل الدراما حياته.. لا يأخذ الإنسان اهتماماته على محمل الجد. أومأ الطبيب برأسه مؤمنا، وصعد السيد "**تشارلز**" إلى الشرفة في تلك اللحظة قائلا:

– تفوق "**ميرابل**" على نفسه اليوم.. كان يجب أن تكون معي يا "**ساترزويت**".. هز "**ساترزويت**" رأسه نفيا.. فلم يكن ليحب ركوب البحر.. وكان يرقب القارب "**ميرابل**" من نافذة حجرته في الصباح، وهو يواجه الأمواج العاتية سعيداً وهو آمن على البر. طلب السيد "**تشارلز**" كؤوس الشراب ثم قال للطبيب:

– وأنت يا "**تولي**".. كان ينبغي لك أن تأتي معي.. ألا تنصح مرضاك بتغيير الجو وركوب البحر؟ قال السيد "**بارثلوميو**" ضاحكًا:

– من مزايا الطبيب أنه غير مطالب باتباع النصح الذي يسديه لمرضاه. ضحك السيد "**تشارلز**" وهو غير متنبه إلى أنه لايزال يقوم بدور البحار، وسأله الطبيب عما إذا كان قد قام بالرحلة وحده. قال السيد "**تشارلز**":

– كلا.. كانت معي الفتاة "**إيج**".. قال "**ساترزويت**" بدهشة:

– الآنسة "**ليتون جور**"؟ هل تعرف شيئًا عن ركوب القوارب؟

– كنت بجوارها كالصبي المبتدئ ولكنني أتقدم بفضلها. تتابعت الخواطر بسرعة في ذهن السيد "**ساترزويت**" وهو يفكر في الخطر الذي يتهدد الرجل عندما يكون في منتصف العمر من شابة صغيرة.. دخلت في تلك اللحظة سيدة طويلة شديدة القبح، قال لها السيد "**تشارلز**":

– صباح الخير يا آنسة "**ميلراي**".

– صباح الخير يا سيد "**تشارلز**".. صباح الخير يا سادة.. هذه قائمة طعام العشاء اليوم.. هل تريد تغيير شيء منها؟ تأمل السيد "**تشارلز**" القائمة بسرور ثم قال:

– كلا.. سوف يصل الجميع في قطار الرابعة والنصف.

– أعطيت الأوامر بالفعل لـ"**هولجيت**".. بعد إذنك يا سيد "**تشارلز**".. ربما كان من الأفضل أن أتناول العشاء معكم الليلة. على الرغم من دهشة السيد "**تشارلز**" إلا أنه أجابها بقوله:

– هذا يسعدني يا آنسة "**ميلراي**"، ولكن.. قالت الآنسة "**ميلراي**" بهدوء:

– إذا لم أنضم إليكم يكون العدد 13. وقد يتشاءم البعض. انسحبت الآنسة "**ميلراي**" وعلى شفتيها ابتسامة خفيفة، قال السيد "**تشارلز**":

– هذه السيدة ممتازة للغاية. وتدير البيت كالساعة الدقيقة.. ومع هذا فقد أخطرتني أنها سوف تتركنا لرعاية أمها المريضة.. أنا لا أصدقها.. لابد من وجود سبب آخر. قال السيد "**بارثلوميو**":

– هذا محتمل.. فقد بدأ الناس يتكلمون.

– يتحدثون عن أي شيء..؟

– أنت تعرف يا عزيزي "**تشارلز**" ما يدور حوله الحديث.

– تعني وجود علاقة بيني وبينها؟ مع ذلك الوجه وفي سنها؟

– ربما كان عمرها أقل من الخمسين.

– ولكن.. ألم تنظر إلى وجهها يا "**تولي**"؟ ليس هذا وجه امرأة، ولا أظن إنسانًا يرضى بعلاقة غرامية مع سيدة لها مثل هذا الوجه. وقال "**ساترزويت**" حتى يغير الطبيب دفة الحديث:

– من الذي سيأتي بعد الظهر؟

– أولا .. "**أنجي**" ..

– "**أنجيلا ساتكليف**"؟ هذا طيب. مال السيد "**ساترزويت**" بمقعده قليلا إلى الأمام ليعرف قائمة المدعوين للحفل، وكانت "**أنجيلا ساتكليف**" ممثلة معروفة على الرغم من أنها تجاوزت سن الشباب إلا أنها مشهورة بسحرها وفكاهتها. قال السيد "**تشارلز**":

– وهناك أيضًا السيد والسيدة "**داكريس**". همس السيد "**ساترزويت**" لنفسه مرة أخرى:

«السيدة "**داكريس**" صاحبة شركة "**أمبروزين**" للأزياء، وزوجها النقيب "**داكريس**" الذي يقضي معظم وقته في سباق الخيل، وكانت له في فترة من الفترات سمعة غير طيبة». وقال السيد "**تشارلز**":

– وهناك أيضًا "**أنتوني أستور**" الكاتبة المسرحية. قال "**ساترزويت**":

– مؤلفة رواية «طريق ذو اتجاه واحد» شاهدتها مرتين وأحدثت ضجة كبرى.. كان "**ساترزويت**" يريد أن يثبت بذلك انه يعرف أن المؤلفة سيدة، وعاد السيد "**تشارلز**" يقول:

– هذا صحيح.. لقد نسيت اسمها الحقيقي.

– "**ويلز**" على ما أعتقد. لم ألتق بها سوى مرة واحدة وطلبت منها الحضور من أجل "**أنجيلا**".. هذه قائمة المدعوين. وسأل الطبيب:

– وماذا بالنسبة إلى الأشخاص المحليين؟

– آه! هناك "**بابنجتون**" راعي الكنيسة وزوجته.. وهو رجل طيب وزوجته سيدة لطيفة للغاية.. تزودني بمعلومات مفيدة عن فلاحة الحدائق.. وكذلك السيدة "**ماري**" و"**إيج**" وهناك أيضًا شاب يدعى "**ماندرز**".. وهو صحفي.. شاب وسيم.. قال "**ساترزويت**" مستعرضًا عدد المدعوين:

– الآنسة "**ساتكليف**".. واحد.. السيد والسيدة "**داكريس**".. ثلاثة.. "**أنتوني أستور**".. أربعة.. السيدة "**ماري**" وابنتها.. ستة. راعي الكنيسة وزوجته.. ثمانية.. الصحفي الشاب. تسعة.. وثلاثتنا يكون العدد اثني عشر.. إما أن تكون أنت أو الآنسة "**ميلراي**" أخطأ في العدد يا سيد "**تشارلز**".

– لا يمكن أن تخطئ الآنسة "**ميلراي**".. يا إلهي! إنه ذلك الرجل البلجيكي الصغير الحجم.. "**هركيول بوارو**". قال "**ساترزويت**":

– المخبر الخاص؟ لقد التقيت به من قبل..

– إنه شخصية متميزة.. وقال السيد "**بارثلوميو**":

– سمعت عنه الشيء الكثير.. ألم يتقاعد منذ بضع سنوات؟ حسن يا سيد "**تشارلز**".. أرجو ألا تصادفنا جريمة قتل في هذا الأسبوع.

– لماذا؟ لأن معنا مخبرًا خاصًّا في البيت؟ قال الطبيب:

– هكذا تقع الأحداث للناس.. هناك طراز من الناس تقع له الأحداث حيثما ذهب.. تغرق السفينة التي يركبها، أو تقابله عصابة من المجرمين.. هكذا الحال بالنسبة إلى صديقك "**هركيول بوارو**".. إنه لا يسعى إلى الجريمة؛ لأن الجريمة هي التي تلاحقه حيثما ذهب.. قال السيد "**ساترزويت**":

– في هذه الحالة ربما كان من حسن الحظ أن تكون الآنسة "**ميلراي**" معنا في العشاء، حتى لا يكون عددنا ثلاثة عشر.. قال السيد "**تشارلز**" ضاحكًا:

– حسن.. لك أن تستمتع بجريمتك يا "**تولي**"، إذا كنت تواقًا إلى مشاهدة جريمة قتل.. ولكن بشرط واحد.. ألا أكون أنا الجثة.. انفجر السيد "**تشارلز**"

ضاحكًا، وانسحب الرجال الثلاثة إلى داخل البيت.

- 2 -

كان الاهتمام الرئيسي للسيد "**ساترزويت**" في الحياة هو دراسة الأشخاص، وكان أغلب اهتمامه بالنساء، حيث كانت سيدات كثيرات يبحن له بأسرارهن، إلا أن حظه مع المرأة لم يكن كبيرًا مما كان يملأ نفسه مرارة.. كان "**ساترزويت**" يجلس في تلك الليلة بالغرفة الكبيرة المجاورة للشرفة، والتي حولتها إحدى مؤسسات الديكور إلى ما يشبه كبينة فاخرة لإحدى السفن. وكان اهتمامه موجهًا إلى صبغة شعر "**سينثيا داكريس**" اللافتة للنظر. وحاجبيها الرفيعين، ورموش عينيها السوداء، وهمس لنفسه: «هذه سيدة على درجة عالية من الذكاء».. كان يعني عقلها لا جسمها.. انتقلت نظرات "**ساترزويت**" إلى السيد "**تشارلز**" الذي كان يمزج الشراب وهو يتبادل الحديث مع "**أنجيلا ساتكليف**" وهي سيدة طويلة رمادية الشعر؛،ذات فم ينم عن الخبث وعينين جميلتين.. وكان "**داكريس**" يتحدث مع "**بارثلوميو سترينج**".. بلهجة متعالية ويبدو كالثعلب الماكر.. وكانت الآنسة "**ويلز**" تجلس بجوار "**ساترزويت**".. و الآنسة "**ويلز**" الكاتبة المسرحية طويلة نحيفة، وذات شعر ناعم مموج وترتدي نظارة مثبتة بالأنف، وترتدي ثوبًا من الشيفون الأخضر، وكان صوتها مرتفعًا غير متميز عندما قالت:

– ذهبت إلى جنوب "**فرنسا**" ولكنني لم أستمتع كثيرًا بالرحلة، فالناس هناك ليسوا ودودين.. ولكن الرحلة تفيد عملي ولا شك..

فكر "**ساترزويت**"، «مسكينة.. يباعد النجاح بينها وبين الاستقرار في بيتها في "**بورنماوث**"».. ثم لاحظ "**ساترزويت**" أن تلكما العينين الزرقاوين المختفيتين وراء النظارة تكشفان عن ذكاء حاد.. خيل إليه والآنسة "**ويلز**" تنظر إليه أنها تدرس أعماق نفسه.. كان السيد "**تشارلز**" يصب الشراب، وقال السيد "**ساترزويت**" للكاتبة المسرحية:

– اسمحي لي أن آتيك بكأس من الشراب. قهقهت الآنسة "**ويلز**" قائلة:

– لا مانع.. فتح الباب في تلك اللحظة وأعلن كبير الخدم وصول السيدة "**ماري ليتون جور**" والسيد والسيدة "**بابنجتون**" والآنسة "**ليتون جور**"..

قدم "**ساترزويت**" الكأس للآنسة "**ويلز**" ثم مشى ليكون بالقرب من السيدة "**ماري ليتون جور**" حيث كان يشعر بالضعف دائمًا أمام حملة الألقاب.. كان زوجها قد مات تاركًا لها طفلة في الثالثة، وجاءت إلى "**لوماوث**" لتقيم مع ابنتها في كوخ صغير.. كانت امرأة طويلة نحيفة تبدو أكبر سنًّا من عمرها الذي لا يتجاوز الخامسة والخمسين. وكانت مولعة بابنتها ولكنها شديدة الخوف عليها..

أما "**هرميون ليتون جور**" فقد كانت تعرف– لسبب غامض– باسم "**إيج**"، قليلة الشبه بأمها، تتميز بالحيوية الشديدة، وعلى الرغم من أنها ليست جميلة إلا أنها تتميز بجاذبية لا تنكر، كانت تتبادل الحديث مع "**أوليفر ماندرز**" الذي وصل لتوه، وسمعها تقول للشاب:

– لا أدري لماذا أصبحت تمل ركوب القوارب على الرغم من أنك كنت تحبها..

– "**إيج**" يا عزيزتي.. إن الإنسان يكبر.

كان شابًّا وسيمًا في حوالي الخامسة والعشرين. خيل إلى "**ساترزويت**" أن لهجته تشوبها لكنة أجنبية.. كان ثمة شخص آخر يراقب "**أوليفر ماندرز**". رجل ضئيل الحجم، بيضاوي الرأس، له شارب أجنبي الطابع.. السيد "**هركيول بوارو**".. خيل إلى "**ساترزويت**" أن البلجيكي يبالغ في إظهار نفسه بمظهر الأجنبي وكأنما كانت عيناه تقولان له: «هل تتوقع أن أكون المهرج؟ أن أمثل دور الملهاة لكم؟ سوف يكون الأمر كما تحبون». لم يعد هناك بريق في عيني "**بوارو**" الآن وإنما كان يبدو جادًّا ميالا إلى الحزن.. اقترب الأب "**بابنجتون**" لينضم إلى السيدة "**ماري**" والسيد "**ساترزويت**"، وكان القس في الستين من عمره، له عينان رقيقتان وتبدو عليه الطيبة والرقة، وقال للسيد "**ساترزويت**":

– نحن محظوظون حقًّا لوجود السيد "**تشارلز**" بيننا.. لقد كان شديد الكرم..

إنه جار يسعد به الإنسان.. أعتقد أن السيدة "**ماري**" تشاركني هذا الرأي..
ابتسمت السيدة "**ماري**" قائلة:

– أنا أحبه حبًّا كبيراً.. لم يفسده النجاح وهو يبدو كالطفل الوديع. اقتربت خادمة المائدة حاملة صينية عليها كؤوس الشراب، وقالت "**إيج**" التي كانت تحمل كأسًا في يدها:

– تستطيعين أن تأخذي كأسًا يا أمي.. كأساً واحدة! قالت لها السيدة "**ماري**" بحلم:

– شكراً لك يا عزيزتي. قال السيد "**بابنجتون**":

– أعتقد أن زوجتي سوف تسمح لي بتناول كأس.

بينما كان القس يضحك ضحكته الرقيقة اتجه "**ساترزويت**" ببصره نحو السيدة "**بابنجتون**" التي كانت تتبادل حديثًا جادًّا مع السيد "**تشارلز**" عن السماد.. كانت السيدة "**بابنجتون**" سيدة ضخمة غير معنية بثيابها. ولكنها كما قال "**تشارلز كارتر هوايت**": سيدة لطيفة.

قالت السيدة "**ماري**" وهي تميل قليلا إلى الأمام:

– ولكن من تلك السيدة التي كنت تتحدث إليها عند دخول صاحبة الثوب الأخضر؟

– إنها "**أنتوني أستور**" الكاتبة المسرحية.

– ماذا تقول تلك السيدة الهزيلة؟ تمالكت نفسها وقالت:

– كم أنا فظيعة! ولكنها لا تبدو... أعني أن مظهرها يوحي بأنها رئيسة ممرضات.. ابتسم "**ساترزويت**" ابتسامة خفيفة وهو يفكر في الوصف الدقيق الذي قالته السيدة "**ماري**" ونظر "**ساترزويت**" إلى الأب "**بابنجتون**" الذي كان يتجول في الحجرة بخطى حذرة تبعًا لضعف بصره.. تجرع القس جرعة من الكأس التي يحملها وسعل سعلة خفيفة؛ ربما لأنه لم يتعود تناول الشراب ونظر إليه "**ساترزويت**" بسرور.. وتجرع القس جرعة أخرى وقد تصلب وجهه بعض الشيء

وقال وهو ينظر إلى السيدة "**ماري**":

– أليست هذه هي السيدة الجالسة هناك.. أوه! ارتفعت يده إلى حلقه.. ودوى صوت "**إيج ليتون جور**" في الحجرة قائلة:

– "**أوليفر**".. أنت يا "**شيلوك**" المراوغ.

همس "**ساترزويت**" لنفسه: «بالطبع.. إنه ليس أجنبيًّا.. إنه يهودي! كان الشابان يمثلان زوجًا متجانسًا.. كلاهما شاب ووسيم.. ولا يكفان عن الشجار أيضًا وهما دائمًا في أتم صحة».. اجتذب انتباه "**ساترزويت**" صوت من جانبه، كان السيد "**بابنجتون**" قد وقف على قدميه وهو يترنح في مشيته، وكان وجهه متقلصًا. كان صوت "**إيج**" هو الذي نبه الحاضرين في الحجرة، على الرغم من أن السيدة "**ماري**" كانت قد وقفت ومدت يدها لتساعد القس. وقالت "**إيج**" بفزع:

– انظروا.. السيد "**بابنجتون**" مريض. تقدم السيد "**بارثلوميو سترينج**" بسرعة نحو القس، وساعده على الوصول إلى أريكة موضوعة في جانب الحجرة، والتف حولهما الآخرون كل يبدي استعداده للمساعدة.. رفع "**سترينج**" قامته بعد دقيقتين، وقال بصوت أجوف:

– أنا آسف.. لقد مات.

- 3 -

دس السيد "**تشارلز**" رأسه من خلال الباب قائلا:

– هل تسمح بالمجيء إلى هنا لحظة يا "**ساترزويت**"؟

مضت ساعة ونصف الساعة، وعم السلام بعد الاضطراب، صحبت السيدة "**ماري**" السيدة "**بابنجتون**" إلى "الأبرشية" بينما قامت الآنسة "**ميلراي**" بإجراء الاتصالات التليفونية اللازمة، ووصل الطبيب المحلي ليباشر إجراءاته.. وتم تقديم عشاء خفيف انسحب على أثره الجميع إلى حجراتهم.. وكان "**ساترزويت**" في غرفته عندما طلب إليه السيد "**تشارلز**" المجيء إلى الغرفة المشكلة على شكل كبينة

في إحدى السفن.. كان الشخص الوحيد الموجود في الغرفة هو "**بارثلوميو سترينج**" وأومأ الطبيب برأسه مرحبًا وهو يقول:

– الرجل المناسب.. نستطيع أن نشرك "**ساترزويت**" معنا في الأمر فهو رجل يعرف الحياة. جلس "**ساترزويت**" على مقعد مجاور للطبيب، بينما كان السيد "**تشارلز**" يذرع الغرفة جيئة وذهابًا، قال الطبيب:

– ليس السيد "**تشارلز**" مرتاحًا لما حدث.. أعني موت "**بابنجتون**" العجوز. تعجب "**ساترزويت**" لما يسمعه. فلم يكن هناك أحد ليشعر بالارتياح لما حدث، وأدرك أن "**سترينج**" يقصد معنى آخر. قال "**ساترزويت**":

– لقد كان الأمر مثيرا للأسى ولا شك.. قال الطبيب:

– نعم.. كان مؤلمًا.. توقف "**كارتر هوايت**" عن المشي وقال:

– هل رأيت أحدًا يموت بمثل هذه الطريقة من قبل يا "**تولي**"؟ قال الطبيب مفكرًا:

– كلا.. ثم أردف بعد لحظة صمت:

– ولكن.. لم أر في حياتي عددًا كبيرًا من الوفيات كما تظن.. أنا إخصائي في الأعصاب ومهمتي أن أبقي على الناس أحياء؛ حتى أحقق لنفسي دخلا طيبًا.. أما "**ماك دوجال**" فقد رأى حالات وفيات أكثر مني بكثير.. كان "**ماك دوجال**" هو كبير الأطباء في "**لوماوث**" الذي استدعته الآنسة "**ميلراي**"، وقال السيد "**بارثلوميو**":

– لم ير "**ماك دوجال**" هذا الرجل وهو يموت.. كان ميتًا عند وصوله.. لم يكن أمامه سوى ما نخبره به.. قال إن العجوز أصيب بنوبة مفاجئة.. كلام لا يعني شيئًا إطلاقًا ومع كل فقد كان "**بابنجتون**" عجوزًا ولم تكن صحته على ما يرام، أخبرتنا زوجته بأنه كان معتل الصحة في الفترة الأخيرة. وربما كان يشكو ضعفا غير معروف. سأل السيد "**تشارلز**" باهتمام:

– أكانت النوبة التي أصيب بها "**بابنجتون**" هي النوبة النمطية؟ نظر الطبيب

إلى السيد "**تشارلز**" بدهشة وهو يقول:

– فيمَ تشتبه يا "**تشارلز**"؟ انتحار.. جريمة قتل.. من الذي يفكر في قتل رجل عجوز مسالم ؟ ولكن هناك احتمالا في تصوري... أن يكون "**بابنجتون**" فكر في قتل نفسه.

– وما الدافع؟ قال الطبيب برقة:

– كيف نستطيع أن نعرف أسرار العقل البشري؟ إنه مجرد افتراض.. قد يكون القس العجوز عرف أنه مصاب بداء عضال لا أمل في الشفاء منه مثل السرطان.. وربما أراد أن يوفر على زوجه آلام مراقبته وهو يعاني لفترة طويلة ذلك المرض. هذا مجرد افتراض بالطبع.. لكن لا يوجد ثمة سبب في الواقع يجعل "**بابنجتون**" يفكر في قتل نفسه. قال السيد "**تشارلز**":

– لم أكن لأفكر في شيء كالانتحار. ضحك "**بارثلوميو سترينج**" ضحكة خفيفة وهو يقول:

– أنت لا تفكر في الاحتمالات.. إنما تفكر في الإثارة.. سم جديد غير معروف دسه أحدهم في الشراب. هز السيد "**تشارلز**" رأسه وقال:

– لست أعني ذلك يا "**تولي**".. وتذكر أنني أنا الذي أعددت الشراب بنفسي.

– هل تقصد نوبة من جنون القتل المفاجئ.. أعتقد أن الأعراض في مثل هذه الحالة تتأخر بعض الوقت. ولكننا كدنا نموت جميعًا قبل حلول الصباح... قاطعه السيد "**تشارلز**" قائلا بعصبية:

– اللعنة! ولكنني لا أمزح.

– وأنا كذلك لا أمزح. تغير صوت الطبيب وأصبح جادًّا وهو يقول:

– أنا لا أمزح بالنسبة إلى موت "**بابنجتون**".. ولكنني أمزح بالنسبة إلى افتراضاتك يا "**تشارلز**"– حسن– لأنني لا أريد أن يتسبب تفكيرك في الضرر. قال السيد "**تشارلز**" بدهشة:

– الضرر؟!

– ربما كنت تفهم ما أعنيه يا سيد "**ساترزويت**"؟ قال "**ساترزويت**" :

– أعتقد أنني أستطيع أن أخمن. استرسل "**بارثلوميو**" قائلا :

– ألا ترى يا "**تشارلز**"، أن شكوكك هذه قد تكون ضارة؟ هذه الأشياء تنتشر وسوف تسبب الألم للسيدة "**بابنجتون**". سريان الإشاعات يستمر ولا شيء يوقفه.. ألا ترى ما يترتب على ذلك من نتائج؟ ظهرت علامات الحيرة على وجه الممثل وقال :

– لم أفكر في الأمر من هذه الزاوية..

– أنت تطلق لخيالك العنان يا سيد "**تشارلز**".. ولكن هل تصدق حقًّا أن أي إنسان يمكن أن يفكر في قتل رجل مسالم عجوز كهذا؟

– لا أظن.. إنها فكرة سخيفة حقًّا.. أنا آسف يا "**تولي**".. ولكنني رأيت ثمة خطأ.. خطأ لا أدري حقيقته تمامًا.. سعل "**ساترزويت**" سعلة خفيفة ثم قال :

– هل تسمحون لي باقتراح؟ أصيب السيد "**بابنجتون**" بالمرض بعد دقائق معدودة من دخوله هذا المكان وبعد تناول الشراب.. لقد لاحظت بالفعل تصلب وجهه وهو يشرب.. تخيلت أن ذلك راجع إلى عدم تعوده طعم الشراب، ولكن لنفترض أن اقتراح السيد "**بارثلوميو**" صحيح. إن السيد "**بابنجتون**" كانت لديه بعض الأسباب للانتحار.. أعتقد أن هذا احتمال مقبول، بينما تبدو فكرة ارتكاب جريمة قتل أمرًا مستبعداً.. وأشعر بأنه من الممكن أن يكون القس هو الذي وضع لنفسه شيئًا في الشراب دون أن يراه أحد.. إنني أرى كل شيء في هذه الحجرة باق كما هو لم تمسسه يد.. وكؤوس الشراب موجودة حيث كانت.. هذه كأس السيد "**بابنجتون**".. أعرفها لأنني كنت جالسًا هنا أتحدث إليه.. أقترح أن يأخذ السيد "**بارثلوميو**" الكأس ويحللها ويمكن فعل ذلك بهدوء ودون أن يثير أي لغط. وقف السيد "**بارثلوميو**" وأمسك الكأس قائلا :

– أنت على حق.. وسوف أسليك يا "**تشارلز**"، حيث أراهنك بعشرة جنيهات

مقابل جنيه واحد أنه لا يوجد في هذه الكأس سوى مزيج من الشراب. قال السيد "**تشارلز**":

– وأنا قبلت الرهان. ابتسم الممثل ثم أضاف:

– هل تعرف يا "**تولي**"، أنك مسؤول جزئيًّا عن شطحات خيالي؟

– أنا؟!

– نعم.. قلت: إن الجريمة تتبع ذلك الرجل "**هركيول بوارو**" وما كاد يصل حتى حدثت حالة وفاة، ومن ثم اتجهت أفكاري في الحال نحو الجريمة.. مارأيك يا "**تولي**".. هل نسأله رأيه في الموضوع؟ قال "**ساترزويت**" بصوت منخفض:

– لا تستطيع أن تطلب إلى المغني المحترف أن يغني.. كما لا تستطيع أن تطلب من المخبر الخاص أن يبحث عن الجريمة.. سمعت في تلك اللحظة طرقة خفيفة على الباب، ودخل "**هركيول بوارو**" معتذراً لمقاطعة حديثهم، وقال للسيد "**تشارلز**":

– شكرا لك.. قلما أتناول الشراب.. لو كان لديك بعض من العصير...

لم يكن العصير من المشروبات التي يضمها مشرب السيد "**تشارلز**". وبعد جلوس ضيفه دخل الممثل في الموضوع قائلا:

– كنا نتحدث عنك يا سيد "**بوارو**".. وعما حدث الليلة. هل تظن أن خطأ ما قد وقع؟ رفع "**بوارو**" حاجبيه دهشة وقال:

– خطأ؟ ماذا تقصد بالخطإ؟ قال "**بارثلوميو سترينج**":

– يعتقد صديقي أن "**بابنجتون**" قد قتل.

– وما رأيك أنت؟

– نريد أن نعرف رأيك أولا.. فكر "**بوارو**" قليلا ثم قال:

– أصيب الرجل بالمرض فجأة.. كان المرض مفاجئا حقًّا.. شرح "**ساترزويت**" نظرية الانتحار والاقتراح الذي عرضه بتحليل كأس الشراب، وأومأ "**بوارو**" برأسه مؤمنًا وقال:

– على أية حال ليس في ذلك أي ضرر... وبصفتي خبيراً في الطبيعة البشرية،

أستطيع أن أحكم أنه ليس لأي إنسان مصلحة في التخلص من رجل عجوز مسالم.. كما أن فكرة الانتحار لا تروقني.. وعلى أية حال سوف يخبرنا تحليل كأس الشراب بهذه الطريقة أو تلك..

– وما هي في رأيك النتيجة التي سيسفر عنها التحليل؟ هز "**بوارو**" كتفيه وقال:

– أنا؟ أستطيع أن أخمن فقط. وفي رأيي أن التحليل سوف يثبت أن الكأس فيها بقايا شراب من أجود صنف. انحنى للسيد "**تشارلز**" ثم قال:

– إن دس السم في كأس موضوعة بين مجموعة من الكؤوس أمر بالغ الصعوبة.. ولو أن هذا القس العجوز الوديع أراد الانتحار، ما كان ليفعل ذلك في حفل؛ لأن ذلك يعني الافتقار إلى الذوق تجاه الآخرين، وفي رأيي أن "**بابنجتون**" رجل يقدر المسؤولية.. هذا هو رأيي.. خيم الصمت هنيهة، وتنهد السيد "**تشارلز**" بعمق، ثم فتح إحدى النوافذ وتطلع إلى الخارج قائلا:

– تحركت الرياح بعض الشيء. ونظر إليه "**ساترزويت**" باهتمام، لقد عاد الممثل إلى تمثيل دور البحار..

- 4 -

عندما التقت "**إيج ليتون جور**" بالسيد "**ساترزويت**" على رصيف الميناء سألته عن رأيه فيما حدث، سألها بدوره عما إذا كان السيد "**تشارلز**" هو الذي أدخل الفكرة في رأسها، وأكدت له أن الفكرة كانت في ذهنها منذ البداية، ودللت على ذلك بالشهادة التي أدلى بها الدكتور "**ماك دوجال**" في جلسة التحقيق، حيث كان بادي الارتباك وأفرط في استخدام التعبيرات الطبية، ولم يقل إن الوفاة حدثت لأسباب طبيعية، وقال "**ساترزويت**" لم يكن في كأس الشراب سوى خليط من أنواع مختلفة.

– ومع هذا فلديَّ شعور بأن هناك شيئا غير طبيعي.. حول السيد "**ساترزويت**"

دفة الحديث نحو "**أوليفر ماندرز**" وسأل "**إيج**" :

- أليس "**أوليفر ماندرز**" صديقك؟

- بلى، هو صديقي ولكننا أصبحنا نختلف معظم الوقت. لقد ذهب ليعمل في مكتب عمه في المدينة.. وهو يتحدث دائمًا عن رغبته في العمل بالصحافة ولكنني لا أعتقد أنه جاد.. "**أوليفر**" يسعى إلى الثراء..

أعربت "**إيج**" بعد ذلك عن أسفها لموت القس العجوز الوديع، وقالت إنها تؤمن بالمسيحية ولهذا فهي لا تستطيع أن تكون شيوعية مثل "**أوليفر**"، ثم عادت تقول إن السيد والسيدة "**بابنجتون**" لم يحبا التدخل في عقيدة الآخرين، وعندما بدأت تتحدث عن ابنهما "**روبين**" أعرب السيد "**ساترزويت**" عن دهشته. قالت:

- كان "**روبين**" يعيش في "**الهند**" حيث لقي حتفه. لهذا أتخيل أن القس لم يمت ميتة طبيعية.. ولكن الأمر الغريب أنه لم يكن له أعداء ولا أرى أي مبرر لقتله.

- لا تنسي أنه لم يتم العثور على شيء في الشراب.

- ربما يكون أحدهم قد حقنه بحقنة مسمومة.

- تعنين مثل السم الذي يستخدمه الهنود الأمريكيون في السهام؟

- نعم.. وسوف ترى في يوم من الأيام أننا كنا على حق. قال "**ساترزويت**" بدهشة:

- أنتما؟! من تعنين؟!

- أنا والسيد "**تشارلز**". قالت ذلك وقد تضرج وجهها، وفكر "**ساترزويت**" في فارق السن بين السيد "**تشارلز**" و"**إيج ليتون جور**"، وخطر ببال "**ساترزويت**" أن الشابات الصغيرات يشعرن بالميل نحو الرجال الذين في منتصف العمر. قالت "**إيج**" :

- أنا أحب الرجال الذين يتورطون في العلاقات الغرامية؛ لأن هذا يؤكد أنهم ليسوا شواذًا.. سكتت "**إيج**" هنيهة ثم أردفت تقول:

– أنت تعرف أن السيد "**تشارلز**" أذكى بكثير مما يبدو.. وعلى الرغم من أنه يتظاهر أحيانا بالتمثيل إلا أنه يؤدي دوره ببراعة.. ولكن بالنسبة إلى موت رجل الدين.. أنت لا ترى فيه شيئًا مثيراً.. مجرد حادث مؤسف.. ترى ما رأي السيد "**بوارو**"؟

– نصحنا السيد "**بوارو**" بالتريث حتى تظهر نتيجة التحليل.. قالت "**إيج**" بقسوة:

– إنه رجل متخلف.. ما رأيك في أن تحضر إلى البيت لتشرب معنا الشاي؟ أمي تشعر بالميل نحوك.. هذا ما قالته لي.. قبل "**ساترزويت**" الدعوة مزهوا بالإطراء.. استقبلته السيدة "**ماري**" بترحيب بالغ، ودار حديثهما حول السيد "**تشارلز**"، قالت السيدة "**ماري**" باسمة:

– لهذا الرجل سحر كبير.. إنني أشعر بذلك مثلما تشعر به "**إيج**".. أعتقد أنك لاحظت أنها تعاني بشدة عقدة عبادة البطل، لم تندمج كثيراً في المجتمع وعشنا منعزلين عن الناس. وأنا أرى أنه يتحتم على الشبان أن يروا العالم ويختلطوا بالناس وإلا تعرضوا للكثير من المخاطر. هز "**ساترزويت**" رأسه مؤمنًا، وتابعت السيدة "**ماري**" حديثها قائلة:

– لقد فعل السيد "**تشارلز**" الشيء الكثير بالنسبة إلى "**إيج**". لقد وسع دائرة معارفها.. كما ترى لا يوجد في المنطقة سوى عدد محدود من الشباب، وكنت أخشى أن تتزوج "**إيج**" بأول شاب تراه دون أن تختبر أحداً غيره. سأل "**ساترزويت**" باهتمام:

– هل كنت تفكرين في "**أوليفر ماندرز**"؟ فوجئت السيدة "**ماري**" بالسؤال وقالت:

– أوه يا سيد "**ساترزويت**"! لا أدري كيف عرفت! كنت أفكر في الشاب بالفعل.. فقد كانت "**إيج**" تخرج معه وتقضي معه وقتًا طويلا.. أنا سيدة رجعية ولا أحب بعض آراء "**أوليفر**".

– يجب أن يستمتع الشباب ببعض النزوات. هزت السيدة "**ماري**" رأسها قائلة:

– إنني أعرف كل شيء عن هذا الشاب كما أعرف عمه جيداً، ألحقه عمه بالعمل في شركته.. وهو رجل واسع الثراء.. ولكن.. هزت رأسها في حيرة وقال "**ساترزويت**":

– ومع هذا فلا أظنك توافقين على أن تتزوج "**إيج**" برجل في ضعف عمرها.

– ربما كان ذلك أنسب لها.. فالرجل في مثل هذا العمر يترك نزواته وراء ظهره..

وقبل أن يعلق "**ساترزويت**" على ذلك كانت "**إيج**" قد لحقت بهما، واعتذرت بأنها كانت تتحدث إلى السيد "**تشارلز**"، ووجهت اللوم لـ"**ساترزويت**"؛ لأنه لم يخبرها بانصراف الضيوف، وقال الأخير:

– انصرفوا جميعًا بالأمس فيما عدا السيد "**بارثلوميو سترينج**" الذي سافر إلى "**لندن**" هذا الصباح بناء على مكالمة تليفونية عاجلة، حيث كان أحد مرضاه يجتاز مرحلة حرجة، قالت "**إيج**" بأسى:

– هذا أمر يؤسف له؛ لأنني كنت أرغب في دراسة المدعوين لعلي أعثر على دليل..

– دليل على أي شيء؟

– يعرف السيد "**ساترزويت**" السبب.. ولكن "**أوليفر**" لايزال موجوداً ولعله يستطيع بذكائه أن يعاونني.. عندما عاد "**ساترزويت**" إلى بيت "**عش الغراب**" رأى السيد "**تشارلز**" جالسًا في الشرفة يتطلع إلى البحر، وقال بمرارة عندما تطرق الحديث إلى "**إيج جور**":

– ليتني لم آت قط إلى هذا المكان الملعون!

أحس "**ساترزويت**" فجأة بالشفقة على الرجل الذي بلغ الثانية والخمسين من عمره، ووقع في الحب أخيراً بعد أن حطم الكثير من القلوب، ولكن "**ساترزويت**" ظل مؤمنًا بأن الغلبة في النهاية لـ"**ماندرز**" الشاب.. وازداد اقتناعًا بهذا الرأي عندما اتصلت "**إيج**" تليفونيًّا طالبة السماح لها بإحضار "**أوليفر**" بعد العشاء

للتشاور في أمر ما.. وقال "**ساترزويت**" بحذر:

– أليس من الأفضل أن تفاتح "**إيج**".. أنت تعرف ما يدور في رأس الشباب.. بينما يجري تفكيرك حول أمور صبيانية مثل الجريمة والعواطف..

– ألست متشائماً بعض الشيء؟

عندما قدمت "**إيج**" مع "**أوليفر ماندرز**"، ظل "**ساترزويت**" يراقبهما باهتمام وهما يتجادلان بحيوية، وخيل إليه أن السيد "**تشارلز**" تقدم في العمر سنوات، وبدا متعبًا مجهدًا على غير العادة، حاولت "**إيج**" أكثر من مرة استدراجه للحديث، ولكنه ظل غارقًا في أفكاره حتى انصرفت "**إيج**" مع "**أوليفر**" في الحادية عشرة وظلت أصواتهما مسموعة حتى غابا عن الأنظار تحت ضوء القمر، وصب السيد "**تشارلز**" لنفسه كأسًا من الشراب. وقال بهدوء:

– "**ساترزويت**".. سوف أترك هذا المكان في الغد وإلى الأبد.. قال "**ساترزويت**" بدهشة:

– ماذا تقول؟!

– هذا هو الشيء الوحيد الذي يجب أن أفعله.. سوف أبيع البيت.. لن يعرف أحد ماذا كان يعنيه هذا البيت لي.. تهدج صوته ثم استرسل يقول:

– خير وسيلة أن تقلل خسائرك.. الشباب للشباب.. لقد خلق كل منهما للآخر.. يجب أن أنسحب من الميدان.

– وإلى أين تذهب؟

– إلى أي مكان.. ليس لذلك أهمية.. ربما ذهبت إلى "**مونت كارلو**". ماالفرق بين أن أكون في وسط الصحراء أو بين زحام الناس؟ لقد اعتدت أن أعيش وحيداً..

نهض السيد "**تشارلز**" وتبعه "**ساترزويت**" ليذهب إلى فراشه.. وفي صباح اليوم التالي، طلب السيد "**تشارلز**" من ضيفه أن يغفر له؛ لاضطراره إلى الذهاب إلى المدينة ذلك اليوم وأضاف:

– لا تختصر زيارتك.. كان المفروض أن تبقى حتى الغد.. سوف توصلك

السيارة إلى المحطة.. شعوري الآن بعد أن توصلت إلى قراري ألا أنظر إلى الماضي.

صافح السيد "**تشارلز**" ضيفه وتركه لعناية الآنسة "**ميلراي**" التي لم تفاجأ بقرار مخدومها، وشرعت من فورها في اتخاذ الإجراءات اللازمة لعرض البيت للبيع، وخرج "**ساترزويت**" ليقوم بجولة على رصيف الميناء وفوجئ بيد توضع على ذراعه، وعندما استدار وجد "**إيج**" بوجهها الأبيض الباسم تقول له:

– ما كل هذه الضجة؟

– أي ضجة؟

– الكل يتحدثون عن قرار السيد "**تشارلز**".. إنه سوف يبيع البيت..

– هذا صحيح.. وقد غادر المكان بالفعل! قالت "**إيج**" وهي تغرس أظفارها في يده:

– أوه! إلى أين ذهب؟

– سافر إلى الخارج.. إلى جنوب "**فرنسا**". لم تجد الشابة ما تقوله.. لم يكن الأمر مجرد عبادة البطل، كان الأمر يتجاوز ذلك.. وسألت بشراسة:

– ومن تلك الشيطانة الملعونة التي اتجه إليها؟ لا شك في أنك تعرف.. أهي تلك السيدة ذات الشعر الرمادي أم الأخرى؟ عندما أكد لها "**ساترزويت**" أنه لا يعرف قالت بحدة:

– بل تعرف.. لابد من أنك تعرف.. إنها امرأة ولا شك، لقد كان يحبني.. أعرف أنه كان يحبني.. فكرت واحدة من السيدتين في أن تختطفه مني.. إنني أكره النساء.. حشرات قذرة. هل رأيت ملابسها؟ تلك السيدة ذات الشعر الرمادي؟ هل هي؟ أم هي السيدة الأخرى؟ تلك التي كان يناديها بـ"**أنجي**".. أهي السيدة الأنيقة أم "**أنجي**"؟

– يا عزيزتي.. أفكارك غريبة حقًّا.. "**تشارلز كارتر هوايت**" ليس معنيًّا بواحدة منهما.

– لا أصدقك.. ولكنهما مهتمتان به..

– كلا.. كلا.. أنت مخطئة وهذا من نسج خيالك.

– كلاب.. حشرات..

– ينبغي ألا تستخدمي هذه الكلمات يا عزيزتي..

– إنني أفكر في شتائم أسوأ منها.

– ولكنني أؤكد لك أنك مخطئة.

– إذن، لماذا سافر بهذه الطريقة؟

– ربما لأنه اعتقد أن هذه أسلم طريقة. تفرست "**إيج**" في وجهه قائلة:

– هل تعني بسببي أنا؟

– حسن.. ربما كان شيئًا من هذا القبيل.

– لهذا هرب.. ربما أكون قد عرضت نفسي والرجال لا يحبون من يطاردهم.. لقد كانت أمي على حق عندما قالت لي: دعي الرجال هم الذين يلاحقونك! لقد هرب "**تشارلز**" مني.. خاف مني والمصيبة أنني لا أستطيع أن أذهب وراءه، ولو فعلت ذلك فربما أركب السفينة إلى مجاهل "**إفريقيا**".

– "**هرميون**".. هل أنت جادة بشأن السيد "**تشارلز**"؟

– بالتأكيد.

– وماذا بشأن "**أوليفر ماندرز**"؟ أشاحت "**إيج**" بيدها وقالت بنفاد صبر:

– هل تنصحني أن أكتب له؟ مجرد دردشة.. أعني أن أهدئ خواطره حتى يتغلب على مخاوفه؟ كان يحتاج إلى أن أشجعه.. أخبرني.. هل رآني في الليلة الماضية وأنا أقبل "**أوليفر**"؟

– لا علم لي بذلك.. متى كان ذلك؟

– في ضوء القمر عندما كنا نسير في الممشى.. أعتقد أنه كان واقفًا في الشرفة ينظر إلينا.. ظننت أن ذلك ربما أيقظه بعض الشيء؛ لأنني كنت أشعر بميله نحوي.. أقسم أنه كان يحبني.

– ولكن أليس ذلك قاسيًا بعض الشيء بالنسبة إلى "**أوليفر**"؟

– كلا بالمرة.. فهو يعتقد أنه شرف كبير تناله أية فتاة تقبله.. كل ما قصدته أن أثير غيرة "**تشارلز**"..

– يا طفلتي العزيزة.. لا أظنك تدركين جيداً سبب الرحيل المفاجئ للسيد "**تشارلز**".. لقد اعتقد أنك تفضلين "**أوليفر**" عليه، وقد رحل لكي يجنب نفسه المزيد من الآلام.. قالت "**إيج**" بعصبية:

– هل هذا صحيح؟ هل هذا صحيح حقًا؟ ابتعدت "**إيج**" عنه قليلا ثم اقتربت منه مرة أخرى وقالت:

– إذا كان الأمر كذلك فسوف يعود.. سوف يعود وإذا لم يفعل.. عندما توقفت "**إيج**" عن الكلام قال "**ساترزويت**":

– حسن.. ماذا يحدث إذا لم يعد؟

– سوف أعيده بطريقة أو بأخرى.. سوف ترى..



الفصل الثاني
التأكد

-1-

ذهب السيد "**ساترزويت**" إلى "**مونت كارلو**" بعد أن انتهى موسم الحفلات التي كان يدعى إليها، وكانت "**الريفيرا**" الفرنسية لطيفة في شهر أيلول (سبتمبر)، كان "**ساترزويت**" جالسًا في إحدى الحدائق يستمتع بالشمس ويتصفح عدد صحيفة "**الديلي ميل**" الصادر منذ يومين، ووقع بصره على الفقرة التالية: «نأسف شديد الأسف ونحن ننعي السيد "**بارثلوميو سترينج**" طبيب الأعصاب المعروف.. كان السيد "**بارثلوميو**" يستمتع بإقامة حفل لبعض الأصدقاء في منزله في "**يوركشاير**"، وكان يبدو في أحسن صحة وأسعد حال، عندما أصيب بأزمة مفاجئة بعد العشاء.. كان يتحدث مع بعض الأصدقاء وهو يشرب كأسًا من الشراب عندما أصيب بالأزمة ولفظ أنفاسه قبل وصول الطبيب.. لقد كان السيد..»

جاء بعد ذلك حديث عن تاريخ وخبرة الطبيب المشهور، وترك "**ساترزويت**" الصحيفة وهو يشعر بالأسى العميق، ومرت بخاطره صورة الطبيب كما رآه من فبل في كامل صحته متورد الخدين وقد أصبح الآن ميتًا.. وهمس "**ساترززيت**" لنفسه: «كان يشرب كأسًا من الشراب.. أزمة مفاجئة.. مات قبل وصول الطبيب.. كان يشرب العصير في هذه المرة وليس الكوكتيل ولكن الميتة مشابهة لميتة رجل الدين.. وتذكر "**ساترزويت**" التقلصات التي رآها على وجه رجل الدين.. فلنفترض أن...».

رفع "**ساترزويت**" رأسه ليرى السيد "**تشارلز كارتر هوايت**" مقبلا نحوه، وقال السيد "**تشارلز**":

– "**ساترزويت**"! يا لها من مصادفة! الشخص نفسه الذي كنت أرغب في

لقائه.. هل قرأت ما حدث لـ"**تولي**" العجوز؟

– كنت أقرأ الخبر منذ لحظات.. جلس السيد "**تشارلز**" على مقعد بجواره ثم قال:

– كان "**تولي**" في أحسن صحة ولم يكن ليشكو شيئا.. ألا يذكرك ذلك بالحادث الذي وقع..؟

– الذي وقع في "**لوماوث**"؟ نعم.. لكن ربما كنا مخطئين بالتأكيد.. ربما كان التشابه مجرد مصادفة.. ومع هذا فالموت المفاجئ يقع لأسباب عديدة.. أومأ السيد "**تشارلز**" برأسه ثم قال:

– تلقيت على التو خطاباً من "**إيج ليتون جور**". أخفى السيد "**ساترزويت**" ابتسامته وهو يقول:

– أهو أول خطاب تتلقاه منها؟

– كلا.. تلقيت قبل ذلك خطاباً بمجرد وصولي إلى هنا ولكنني لم أرد عليه.. لم أجرؤ على الرد عليه يا "**ساترزويت**".. لم تكن لدى الفتاة أية فكرة بالتأكيد، لم أشأ أن أظهر بمظهر الإنسان الأحمق.. سأل "**ساترزويت**"

– وبالنسبة إلى هذا الخطاب؟

– هذا مختلف.. إنه توسل وطلب نجدة..

– النجدة؟!

– لقد كانت هناك.. كانت في الحفل عندما حدث ما حدث.

– تعني أنها كانت في الحفل عندما لفظ السيد "**بارثلوميو**" آخر أنفاسه؟ ماذا تقول عن الحادث؟ أخرج السيد "**تشارلز**".. خطاباً من جيبه وتردد هنيهة قبل أن يسلمه لـ"**ساترزويت**" ثم طلب إليه أن يقرأه، وفتح "**ساترزويت**" الظرف وبدأ يقرأ بفضول:

– عزيزي السيد "**تشارلز**"، لا أدري متى تصلك رسالتي.. أرجو أن تصلك عاجلا.. إنني في أشد حالات القلق ولا أعرف كيف أتصرف.. أعتقد أنك قد

سمعت عن وفاة السيد "**بارثلوميو سترينج**".. حسن.. لقد مات ميتة مشابهة للسيد "**بابنجتون**".. ولا يمكن أن يكون ذلك مجرد مصادفة.. لا يمكن. أنا مرتاعة للغاية.. ألا تستطيع المجيء لكي تفعل شيئًا؟ لقد ساورتك بعض الشكوك من قبل.. لا أحد يريد أن يستمع إليّ، والذي مات هذه المرة هو صديقك، وإذا لم تحضر بنفسك فلن يعرف أحد الحقيقة أبدًا، وأنا واثقة بأنك تستطيع أن تتوصل إلى الحقيقة. وهنالك أمر آخر.. إنني قلقة على شخص ما.. أنا متأكدة أنه لا دخل له في الموضوع ولكن الأمور تبدو غريبة بعض الشيء.. لا أستطيع أن أشرح لك التفاصيل في الخطاب.. ولكن ألا تستطيع المجيء لكي تعرف الحقيقة؟ أنا واثقة بأنك تستطيع..

التي تنتظرك على عجل..
"**إيج**"

عندما رفع "**ساترزويت**" رأسه سأله السيد "**تشارلز**" عن رأيه وقال:

– كتبت الخطاب على عجل.. ما رأيك؟ سكت "**ساترزويت**" هنيهة وهو يفكر في الرد، ثم قال:

– إن المعلومات التي تعرضها "**إيج**" غير متماسكة، ولكنني لا أعتقد أنها كتبت الخطاب على عجل، وأرى أنها كتبته بعناية. إنها تستثير نخوة السيد "**تشارلز**" وفروسيته عندما تطالبه بالمساعدة وسأل السيد "**تشارلز**":

– من الذي تعنيه بـ"شخص ما"؟

– أعتقد أنها تقصد "**ماندرز**".

– هل كان في الحفل إذن؟

– لابد من أنه كان موجودًا.. لا أدري لماذا.. لم يلتق به "**تولي**" سوى مرة واحدة في بيتي.. لماذا طلب إليه الحضور؟.. لا أستطيع أن أتصور ذلك.

– هل كان يقضي وقتًا طويلا في "**يوركشاير**"؟

– اشترى هناك بيتًا يسمى "**ميلفورد آبي**" وحوّله إلى مصحة. خيم الصمت هنيهة، ثم قال "**ساترزويت**":

– إنني أتساءل من كان حاضراً أيضًا في الحفل؟ قال السيد "**تشارلز**":

– إن الرد على هذا السؤال موجود في أخبار الصحف، وأخرج صحيفة وقرأ بصوت مرتفع:

« كان السيد "**بارثلوميو سترينج**" يقيم في بيته الحفل المعتاد بمناسبة عيد "**سانت ليجر**". وحضر الحفل الأمير والسيدة "**إيدن**"، والسيدة "**ماري ليتون جور**"، والسيد "**جوسلين**" والسيدة "**كامبل**"، النقيب والسيدة "**داكريس**"، والآنسة "**أنجيلا ساتكليف**" الممثلة المعروفة». تبادلا النظرات، وقال السيد "**تشارلز**":

– النقيب والسيدة "**داكريس**" و"**أنجيلا ساتكليف**".. ولكن لا خبر عن "**أوليفر ماندرز**".

اقترح "**ساترزويت**" البحث عن بقية الأخبار في صحيفة "**كونتيننتال ديلي ميل**"، وتصفح السيد "**تشارلز**" تلك الصحيفة هنيهة ثم قال بدهشة:

– يا إلهي! استمع إلى هذا الخبر يا "**ساترزويت**".. «في جلسة التحقيق التي عقدت اليوم بالنسبة إلى وفاة السيد "**بارثلوميو سترينج**"، صدر الحكم بأن الوفاة نتجت من التسمم بالنيكوتين، ولم يكتشف أي دليل يبين الطريقة التي تم بها دس السم أو الشخص الذي فعل ذلك». قطب السيد "**تشارلز**" جبينه، ثم قال:

– التسمم بالنيكوتين.. يبدو الأمر غريبًا بعض الشيء، لا يؤدي التسمم بهذه الطريقة إلى وقوع أزمة مفاجئة تسبب الموت.. لا أستطيع أن أفهم شيئًا.

– ماذا تنوي أن تفعل؟

– سوف أحجز مقصورة في القطار الأزرق الذي يتحرك الليلة. قال "**ساترزويت**" إنه سيفعل الشيء نفسه، وقال السيد "**تشارلز**" بدهشة:

– أنت؟!

– نعم.. مثل هذا الأمر يدخل في دائرة اهتماماتي.. فقد كانت لديَّ بعض التجارب.. فضلا على أنني أعرف مفتش الشرطة هناك.. العقيد "**جونسون**"..

– فكرة طيبة.. هيا بنا إلى مكتب عربات النوم.

انصرف السيد "**تشارلز**" ليتوجه إلى مكتب الحجز، وهمس "**ساترزويت**" لنفسه: «لقد نجحت خطة الفتاة.. استطاعت أن تستعيده.. قالت إنها ستفعل وقد فعلت..».

سار "**ساترزويت**" بخطى بطيئة في الحديقة وهو لايزال يفكر في مشكلة "**إيج ليتون جور**" وهو معجب بحيويتها وشبابها.. كان السيد "**ساترزويت**" رجلا قوي الملاحظة، ومن بين اهتماماته العديدة البحث عن طبائع الجنس اللطيف بصفة عامة، ومشكلة "**إيج ليتون جور**" بصفة خاصة، وبينما تدور تلك الأفكار في رأسه. قال لنفسه: «أين رأيت هذا الرأس المتميز، والشارب الكث من قبل؟»

كان صاحب الوجه جالسًا على أحد المقاعد شارد اللب.. كان رجلا صغير الجسم، كث الشارب، رفع الرجل رأسه وصاح "**ساترزويت**":

– آه! السيد "**بوارو**".. يا لها من مفاجأة سارة! وقال "**بوارو**":

– أنا سعيد بلقائك يا سيدي.. تصافح الرجلان وجلس "**ساترزويت**" ثم قال:

– يبدو أن جميع الناس جاءوا إلى "**مونت كارلو**".. منذ أقل من نصف الساعة التقيت بالسيد "**تشارلز كارتر هوايت**" وهأنذا ألتقي بك الآن.

– السيد "**تشارلز**" هنا أيضًا؟

– كان يقوم برحلة باليخت.. ألا تعرف أنه باع بيته في "**لوماوث**"؟

– آه، كلا! إنني دهش لذلك.

– لا أعتقد أن "**كارتر هوايت**" من ذلك الطراز الذي يستطيع أن يعيش بمعزل عن العالم بصفة دائمة.

– أنا أتفق معك في هذا.. ولكن لدهشتي سبب آخر.. خيل إليّ أن للسيد "**تشارلز**" دافعًا خاصًا للبقاء في "**لوماوث**".. أعني بسبب شابة حسناء. أليس

كذلك؟ الآنسة التي تسمي نفسها "**إيج**"؟

– أوه! إذن فقد لاحظت ذلك.

– لاحظته بالتأكيد.. قلبي يتفتح دائمًا للعشاق، والشباب له سحره دائمًا.. تنهد السيد "**بوارو**"، وقال "**ساترزويت**":

– اعتقدت أنك تعرف الآن سبب رحيل السيد "**تشارلز**" عن "**لوماوث**".. لقد كان يفر من المكان.

– من الآنسة "**إيج**"؟ ولكن الواضح أنه يحبها جدًّا.. لماذا يفر إذن؟ ولكنها بالطبع خطة حكيمة.. يفر من المرأة لتبدأ في مطاردته.. لا شك في أن للسيد "**تشارلز**" تجارب عديدة. ابتسم "**ساترزويت**" وهو يقول:

– لا أظن أن الأمور سارت على هذا النحو.. ولكن ما الذي تفعله هنا أهي إجازة؟

– كل وقتي الآن أصبح إجازة.. لقد نجحت وصرت غنيًّا.. لقد تقاعدت وأقوم الآن بالسفر حول العالم.. أستمتع بحياتي.. نشأت طفلا فقيرًا.. كان عددنا كبيرًا.. وكان علينا أن نكافح لنشق طريقنا في الحياة.. التحقت بالشرطة واشتغلت بجد وبدأت أبني لنفسي مجدًا حتى ذاع صيتي.. وجاء الوقت لكي أتقاعد، ثم نشبت الحرب وأصبت في المعارك، وجئت إلى "**إنجلترا**" لاجئًا.. استضافتني سيدة رقيقة. ماتت ولم تكن ميتتها طبيعية.. قتلت.. حسن.. استخدمت خلايا عقلي وتمكنت من معرفة القاتل.. وأدركت في تلك اللحظة أنني لم أنته، وأن لديَّ طاقات قوية تحتاج إلى الاستغلال.. ومن هنا بدأت عملي الثاني.. العمل كمخبر خاص في "**إنجلترا**".. تمكنت من حل العديد من القضايا المعقدة.. وعرفت الطبيعة البشرية وأصبحت غنيًّا.. سوف أحصل على كل المال الذي أريده.. وسوف أحقق جميع أحلامي.. أشار "**ساترزويت**" إلى الصحيفة التي يحملها وقال:

– هل اطلعت على هذه الصحيفة يا سيد "**بوارو**"؟

أشار بأصبعه إلى الفقرة التي يقصدها. وأخذ منه البلجيكي الصغير الجسم

الجريدة وقرأ الفقرة دون أن يبدو أي انفعال على وجهه، ولكن الرجل الإنجليزي كان على ثقة بأن بركانًا يغلي في أعماق البلجيكي، قرأ "**بوارو**" الفقرة مرتين ثم استدار نحو "**ساترزويت**" قائلا:

– هذا شيء مثير.

– نعم.. يبدو أن السيد "**تشارلز كارتر هوايت**" كان على حق ونحن مخطئون.

– نعم.. يبدو أننا كنا على خطإ.. يجب أن أعترف بهذا يا صديقي.. لم يكن باستطاعتي أن أصدق أن رجلا عجوزًا رقيقًا مثل السيد "**بابنجتون**" يمكن أن يقتل.. ومع هذا فقد يكون موت الطبيب مجرد مصادفة.. كثيراً ما تقع مصادفة بالغة الغرابة.. أنا "**هركيول بوارو**" رأيت مصادفات عجيبة تقع تحت سمعي وبصري. سكت "**بوارو**" قليلا ثم أردف يقول:

– ربما كانت غريزة السيد "**تشارلز**" على حق.. فهو فنان حساس يشعر بدقائق الأشياء أكثر مما يحس بأسبابها.. إنني أتساءل أين هو الآن؟ ابتسم "**ساترزويت**" ثم قال:

– في مكتب الحجز لعربات النوم.. سوف نعود سويًّا إلى "**لندن**" الليلة..

– آه! كم هو متحمس السيد "**تشارلز**" هذا! إنه مصرّ على أن يلعب دوره.. أعني دور رجل الشرطة الهاوي.. هل ترى سببًا آخر؟ لم يجب "**ساترزويت**"، واستخلص الجواب من ذلك الصمت وقال:

– أعتقد أن لعيني "**إيج**" الجميلتين دخلا في ذلك.. ليست الجريمة وحدها هي التي تناديه.

– لقد بعثت إليه خطابا ترجوه أن يعود..

– إنني أعجب الآن.. لا أفهم تمامًا.. قاطعه "**ساترزويت**" بقوله:

– تعني أنك لا تفهم الفتاة الإنجليزية المعاصرة؟

– عفواً.. يبدو أنك لم تفهم قصدي.. إنني أفهم الآنسة "**ليتون جور**" جيداً.. التقيت بالكثير من أمثالها.. أنتم تسمون هذا الطراز عصريًّا، لكن كيف أسميه

أنا؟ إنه قديم قدم الزمان.. شعر "**ساترزويت**" ببعض الاستياء؛ لأن هذا الأجنبي المغرور يتصور أنه يعرف عن الإنجليزيات أكثر مما يعرفه، واستمر "**بوارو**" في حديثه قائلا:

– إن معرفة الطبيعة البشرية يمكن أن تصبح شيئًا شديد الخطورة. صحح له "**ساترزويت**" قائلا:

– بل تصبح أمرًا كبير النفع.

– ربما.. هذا يتوقف على وجهة النظر. نهض "**ساترزويت**" متمنيًا لـ"**بوارو**" يومًا سعيدًا، وشكره "**بوارو**"، وقال "**ساترزويت**":

– عندما تزور "**لندن**" في المرة القادمة أرجو أن تزورني.. هذه هي بطاقتي عليها عنواني..

– أنت لطيف يا سيد "**ساترزويت**".. سوف يكون ذلك من دواعي سروري.. أتمنى لك رحلة سعيدة. ابتعد "**ساترزويت**" و"**بوارو**" يتابعه بنظراته، ثم عاد إلى تأملاته مرة أخرى، واستمر في جلسته قرابة عشر دقائق، ثم نهض ليتوجه إلى مكتب الحجز بشركة عربات النوم..

- 2 -

كان السيد "**تشارلز**" والسيد "**ساترزويت**" جالسين في مكتب العقيد "**جونسون**"، وأبدى مفتش الشرطة كل الحفاوة الممكنة بالسيد "**تشارلز**"، وأخبره بأن زوجته من المعجبات به كممثل قدير. وأنه شخصيًّا من رواد المسرح، وأنه غير راض عما يقدم اليوم على خشبة المسرح، وابتسم السيد "**تشارلز**" مسرورًا من هذا الإطراء، وعندما جاء الوقت لكي يكشفا له عن سبب هذه الزيارة أبدى مفتش الشرطة استعداده لتقديم كل المعاونة المطلوبة. وقال:

– تقول إنهم أصدقاؤه؟ هذا سيئ للغاية.. كان طبيبًا مشهورًا هنا.. ويتحدث الناس عن مصحته بالخير.. كان السيد "**بارثلوميو**" في الواقع مثالا للإنسان الطيب

فضلا على كرمه وشعبيته.. آخر إنسان في الدنيا كنت أتوقع أن يقتل.. من الواضح أن في الأمر جريمة.. لا دليل يشير إلى الانتحار.. أو وقوع حادث عرضي.. قال السيد "**تشارلز**":

– جئت أنا وصديقي من الخارج.. ولم نطلع على شيء سوى بعض قصاصات الصحف..

– من الطبيعي أن تسعيا إلى معرفة كل التفاصيل.. حسن.. سوف أعرض عليكما ملخصًا للموقف.. في اعتقادي أنه لا يوجد شك في أن القاتل الذي نسعى إليه هو الخادم المنوط به الأكل والشراب.. جاء ليلتحق بخدمة السيد "**بارثلوميو**" قبل موته بأسبوعين فقط.. واختفى بعد الوفاة مباشرة.. كأنما تبخر في الهواء.. ألا يبدو ذلك غريبًا؟

– أليست لديك فكرة عن المكان الذي ذهب إليه؟ احمر وجه العقيد ثم قال:

– أعتقد أنكما تفكران في أنه إهمال من جانبنا.. أنا أعترف بذلك.. كان الرجل تحت المراقبة شأن جميع الحاضرين في الحفل.. استجوبناه وكانت إجاباته مقنعة تمامًا.. أعطانا عنوان مكتب الاستخدام الذي أرسله إلى المكان.. كانت آخر خدمته لدى السيد "**هوراس بيرد**". ثم اختفى بعد ذلك بينما كان المنزل تحت المراقبة.. وجهت اللوم إلى رجالي ولكنهم أكدوا لي أن عيونهم لم تغفل لحظة واحدة. قال "**ساترزويت**" بدهشة:

– أمر غريب حقًّا! وقال السيد "**تشارلز**":

– فضلا عن أي اعتبار آخر يبدو أن هذا الرجل مجنون.. على قدر علمي لم يكن الخادم متهمًا بأي شيء، وبهروبه قد لفت الأنظار.

– تمامًا.. ولا أمل له في الهروب؛ لأن أوصافه مسجلة.. لن يستغرق الأمر أكثر من أيام حتى يقع بين أيدينا. قال السيد "**تشارلز**":

– أمر غريب حقًّا. إنني لا أفهم شيئًا..

– أوه! السبب واضح تمامًا.. لقد فقد أعصابه وعزم فجأة على الهروب.

– أليس من المنطقي أن تكون للرجل الأعصاب التي يتحمل معها ارتكاب الجريمة، ولا تقوى أعصابه على البقاء في هدوء بعد ذلك؟

– هذا يتوقف على المجرم.. ولكن معظمهم يصابون بالذعر.. لقد ظن أن أصابع الاتهام تشير إليه فهرب.

– هل تحققت بنفسك من صدق البيانات التي قدمها؟

– بكل تأكيد يا سيد "**تشارلز**".. هذا مجرد عمل روتيني.. أيد مكتب الاستخدام في "**لندن**" قصته، وكانت لديه شهادة توصية من السيد "**هوراس بيرد**"، أما السيد "**هوراس**" نفسه فموجود الآن في شرق "**إفريقيا**".

– أليس من المحتمل أن تكون الشهادة مزورة؟ نظر العقيد إلى السيد "**تشارلز**" بإعجاب وقال:

– بالطبع.. لهذا أرسلنا برقية إلى السيد "**هوراس**"، وقد يمر بعض الوقت قبل أن يصلنا الرد..

– متى اختفى الرجل؟

– صباح اليوم التالي للوفاة.. كان أحد الأطباء موجوداً في الحفل– السيد "**جوسلين كامبل**"– وهو خبير في السموم على ما سمعت، وقد اتفق رأيه مع رأي "**دافيز**" الطبيب المحلي، ومن ثم حضر رجالنا فوراً.. ذهب "**إيليس**"– وهذا اسم الخادم– إلى غرفته كالعادة، وتم اكتشاف غيابه في الصباح.. وكان من الواضح أنه لم ينم في سريره.

– هل تسلل متستراً بالظلام؟

– يبدو هذا.. إحدى السيدات المدعوات إلى الحفل.. الآنسة "**ساتكليف**" الممثلة.. لعلك تعرفها؟

– أعرفها معرفة جيدة.

– قدمت لنا الممثلة اقتراحاً.. قالت إن الرجل ربما هرب إلى الخارج عن طريق سرداب سري.. ويبدو أن هذا احتمال قائم حيث تقول الآنسة "**ساتكليف**" إن

الطبيب كان يفاخر بذلك السرداب وقد أطلعها عليه.. وتقول إن نهاية السرداب تقع على بعد كيلو متر من الموقع. هز السيد "**تشارلز**" رأسه مؤمنًا وقال:

– هذا تفسير معقول ولا شك.. ولكن كيف عرف الخادم بوجود مثل هذا السرداب؟

– هذه هي النقطة المهمة.. تقول زوجتي إن الخدم يعرفون كل شيء وأعتقد أنها على حق. تدخل "**ساترزويت**" في الحديث قائلا:

– فهمت أن النيكوتين هو السم الذي استخدم في القتل؟

– هذا صحيح.. وهو سم غير عادي على ما أعتقد فضلا على أنه نادر نسبيًّا.. ولو أن الرجل كان يدخن كثيراً مثل الدكتور الراحل فإن ذلك يزيد الأمور تعقيداً.. أعني أنه كان يموت متسمماً من النيكوتين بطريقة طبيعية..

– كيف تم دس السم له؟

– لا نعرف.. وسوف تظل هذه نقطة الضعف في القضية.. ووفقًا للتقرير الطبي كان ابتلاع السم قبل الوفاة ببضع دقائق فحسب.

– سمعت أنهم كانوا يشربون الكحول؟

– تمامًا.. يبدو أن السم كان في الشراب، ولكننا لم نعثر على شيء عند تحليل بقايا الكأس.. وكذلك زجاجة الشراب، وعند التحقق من الطعام الذي تناوله الطبيب تأكد لنا أنه لم يتناول شيئًا غير الذي أكله الجميع.. وكان الطاهي الذي أعد الطعام يعمل في خدمته منذ خمسة عشر عاما.. وعلى الرغم من هذا فقد عثر في معدته على بقايا السم مما يعقد المشكلة.. دار السيد "**تشارلز**" حول السيد "**ساترزويت**" ثم قال بارتياع:

– الشيء نفسه.. الشيء نفسه الذي حدث من قبل. ثم استدار نحو مفتش الشرطة معتذراً وقال:

– يجب أن أشرح لك الأمر.. حدثت في بيتي في "**كورنوول**" وفاة مشابهة.. بدا الاهتمام على وجه المفتش وقال:

– أعتقد أنني سمعت هذه القصة من شابة تدعى الآنسة "**ليتون جور**" .. نعم.. وكانت مصرة على وجهة نظرها ولكنني لا أستطيع أن أصدق تلك النظرية؛ لأنها لا تفسر سبب هروب الخادم.. ولا أظن أن خادمك اختفى..

– لم يكن لديَّ خادم.. مجرد خادمة.

– أليس من المحتمل أن يكون رجلا متنكرًا على شكل امرأة؟ ابتسم السيد "**تشارلز**" وهو يتذكر وجه خادمته، وابتسم مفتش الشرطة بدوره معتذرًا وهو يقول:

– هذه مجرد فكرة.. كلا.. لا أستطيع أن أوافق الآنسة "**ليتون جور**" على نظريتها.. خصوصًا وأن الوفاة حدثت لرجل دين عجوز.. من الذي يفكر في التخلص من رجل دين مسالم كهذا؟ قال السيد "**تشارلز**" مؤمنًا:

– هذا هو الجانب المحير في الموضوع.

– سوف تجد أن ما حدث مجرد مصادفة.. تأكد أن رجلنا المطلوب هو الخادم الهارب.. من المرجح أن يكون مجرمًا قد اعتاد الإجرام، ولسوء الحظ لم نعثر على بصماته..

– لو أن الخادم هو القاتل فما هي دوافعه؟

– هذه هي إحدى المصاعب التي نواجهها.. سكت العقيد هنيهة ثم استرسل قائلا:

– ربما جاء الرجل بهدف السرقة.. وربما ضبطه السيد "**بارثلوميو**" متلبسًا. استمع السيد "**تشارلز**" والسيد "**ساترزويت**" إلى كلام العقيد في صمت، وأحس رجل الشرطة أن نظريته غير مقبولة، وقال:

– في الواقع كل ما لدينا الآن هو أن نفترض بعض النظريات. ولكننا عندما نلقي القبض على "**جون إيليس**" ونعرف حقيقة شخصيته، وعما إذا كان من المجرمين الذين وقعوا بين أيدينا من قبل، فسوف نكتشف الدافع لارتكاب الجريمة..

– هل اطلعت على الأوراق الخاصة بالسيد "**بارثلوميو**" ؟

– بكل تأكيد يا سيد "**تشارلز**".. لقد أولينا هذه النقطة اهتمامًا خاصًا.. يجب أن أعرفك إلى مفتش الشرطة "**كروسفيلد**" الذي يتولى هذه القضية.. وهو رجل قدير، وقد أوضحت له وجهة نظري ووافقني فوراً على أن مهنة السيد "**بارثلوميو**" ربما كان لها دخل في ارتكاب الجريمة.. فالطبيب يقف على كثير من أسرار مرضاه، ووجدنا جميع أوراق الطبيب مرتبة ومصنفة بعناية، وقد استعرضتها سكرتيرته الآنسة "**ليندون**" مع "**كروسفيلد**".

– هل عثرتم على شيء؟

– لا شيء له قيمة يا سيد "**تشارلز**".

– هل اكتشفتم فقد شيء من المنزل، أعني فضيات أو جواهر أو أشياء من هذا القبيل؟

– لا شيء إطلاقًا.

– من يقيم في البيت على وجه التحديد؟

– معي قائمة تتضمن الأسماء.. أين هي؟ آه تذكرت أنني سلمتها لـ"**كروسفيلد**"! يجب أن تقابل "**كروسفيلد**".. إنني في الواقع أتوقع حضوره بين لحظة وأخرى.. عندما سمع طرقة على الباب قال:

– لعله وصل..

كان "**كروسفيلد**" رجلا ضخمًا تبدو عليه الصلابة، يتحدث بلهجة بطيئة، ولكن عينيه تلمعان ببريق الذكاء. أدى "**كروسفيلد**" التحية لرئيسه الذي قدمه لضيفيه.. لو أن "**ساترزويت**" جاء وحده لما نجح في انتزاع الكلمات من فم العقيد "**كروسفيلد**". ولكن مفتش الشرطة كان من رواد المسرح، وقد أسعده أن يلتقي بشخصية ممثل كبير مثل السيد "**تشارلز كارتر هوايت**"، وبعد أن امتدح مفتش الشرطة الممثل الكبير وعدد مسرحياته التي شاهدها وأعجب بها. قال السيد "**تشارلز**":

– أنت تعلم أنني تقاعدت واعتزلت المسرح الآن.. ولكنهم لا يزالون يذكرون

اسمي في مسرح "**بول مول**" .. أخرج السيد "**تشارلز**" بطاقة من جيبه قدمها لـ"**كروسفيلد**" قائلا:

– قدم لهم هذه البطاقة في المسرح، وسيحجزون مقصورة لك ولزوجتك..

– هذا لطف كبير منك يا سيد "**تشارلز**" .. سوف تسعد زوجتي غاية السعادة عندما تسمع الخبر. أصبح منذ تلك اللحظة كقطعة العجين بين يدي الممثل السابق، وقال "**كروسفيلد**" :

– هذه قضية بالغة الغرابة يا سيدي.. لم يسبق لي طوال مدة خدمتي أن سمعت عن التسمم بالنيكوتين.. كذلك الحال بالنسبة إلى الدكتور "**دافيز**" .

– كنت أعتقد قبل ذلك أن الإفراط في التدخين يؤدي إلى نوع من المرض لا أكثر.

– كان هذا هو اعتقادي أنا أيضًا.. ولكن الطبيب يقول: إن النيكوتين الخالص عبارة عن سائل لا رائحة له، وإن بضع نقط منه تكفي لقتل إنسان في الحال. أطلق السيد "**تشارلز**" صفيرًا يعرب به عن دهشته وقال:

– سم فعال!

– هو كما تقول يا سيدي، وعلى الرغم من هذا فهو شائع التداول.. يستخدم كمحلول لرش النباتات، ويمكن استخلاصه من التبغ العادي.. قال السيد "**تشارلز**" مفكرًا:

– رش الورد.. أين سمعت ذلك؟ سأل العقيد "**جونسون**" :

– هل توصلت إلى معلومات جديدة يا "**كروسفيلد**" ؟

– لا شيء له قيمة يا سيدي.. تلقينا تقارير تفيد أن ذلك الرجل "**إيليس**" قد شوهد في "**دورهام**" و"**ابسويش**" و"**بالهام**" وفي عشرات الأماكن الأخرى.. ونحن نبذل قصارى جهدنا لتصفية هذه المعلومات. التفت "**كروسفيلد**" نحو الرجلين قائلا:

– ما إن تُذاع نشرة بأوصاف مجرم مطلوب القبض عليه حتى تتلقى تقارير تفيد

من أشخاص كثيرين رؤيته في مختلف أنحاء "**إنجلترا**" .. أخرج "**جونسون**" نشرة وقرأ:

"**جون إيليس**" .. متوسط الطول حوالي 178سم.. لديه عرج خفيف، رمادي الشعر، قصير السوالف، عيناه سوداوان، أجش الصوت.. لديه سنة ناقصة في الفك العلوي تشاهد بوضوح عندما يضحك.. ولا توجد به علامات مميزة. قال السيد "**تشارلز**":

– أوصاف غير مألوفة. وليس من السهل الاعتماد عليها.. قال "**كروسفيلد**" بانفعال:

– المشكلة أن الناس لا يلاحظون شيئًا.. فالبعض يصف الشخص نفسه بالطول والقصر، والسمنة والنحافة.. لا يوجد واحد بين خمسين شخصًا يستطيع أن يستخدم عينيه استخدامًا سليمًا.

– هل أنت مقتنع بينك وبين نفسك بأن الرجل المطلوب هو "**إيليس**"؟

– لماذا هرب إذن؟ هذه حقيقة لا يمكن إغفالها. قال السيد "**تشارلز**" وهو يهز رأسه مؤمنًا:

– هذه هي الصعوبة.. التفت "**كروسفيلد**" نحو العقيد "**جونسون**"، وقدم له تقريرًا عن الإجراءات التي تم اتخاذها، وأومأ العقيد برأسه ثم طلب من مفتش الشرطة أن يعطيه القائمة التي تتضمن أسماء الأشخاص الذين كانوا موجودين داخل "**ميلفورد آبي**" ليلة وقوع الجريمة، كانت القائمة تتضمن: "**مارتا ليكي**"– طاهية و"**بياتريس تشيرشي**"– خادمة غرف النوم. "**دوريس كوكر**"– مساعدة الخادمة.. و"**فيكتوريا بول**"– مساعدة خادمة. "**أليس ويست**"– خادمة المائدة وغرفة الاستقبال و"**فيوليت باسنجتون**" مساعدة مطبخ.

(الأشخاص المذكورة أسماؤهم بعاليه كانوا في خدمة المتوفى لبعض الوقت وسمعتهم طيبة.. وأمضت السيدة "**ليكي**" في الخدمة خمسة عشر عاما).

"**جلاديس ليندون**"– سكرتيرة عمرها 33 سنة، وكانت في خدمة السيد

"**بارثلوميو سترينج**" لمدة ثلاث سنوات، ولا تستطيع أن تقدم معلومات عن الدافع لارتكاب الجريمة.. الضيوف، الأمير والسيدة "**إيدن**".. السيد "**جوسلين**" والسيدة "**كامبل**".. والآنسة "**أنجيلا ساتكليف**"، النقيب والسيدة "**داكريس**".. (تدير السيدة "**داكريس**" محلا في شارع "**بيرتون**"). السيدة "**ماري**" والآنسة "**هرميون ليتون جور**". الآنسة "**موربيل ويلز**"، السيد "**أوليفر ماندرز**". قال السيد "**تشارلز**" بدهشة:

– أرى أن الشاب "**ماندرز**" كان موجوداً هو الآخر! قال المفتش "**كروسفيلد**":

– كان وجوده نتيجة حادث وقع له.. اصطدمت سيارته بسور البيت وعرض عليه السيد "**بارثلوميو**" الذي كان يعرفه معرفة سطحية أن يقضي الليلة في البيت.. فقال السيد "**تشارلز**" بمرح:

– كان ذلك إهمالا واضحًا.

– في تصوري أن الشاب أفرط قليلا في الشراب. ولكن الشيء الذي يدهشني أن تصطدم سيارته بسور البيت في ذلك الوقت. قال السيد "**تشارلز**":

– بسبب الإفراط في الشراب..

– الإفراط في الشراب؛ هذا هو رأيي أيضًا يا سيدي.

– حسن.. شكرًا لك يا سيدي المفتش.. هل لديك اعتراض على أن نقوم بزيارة البيت يا عقيد "**جونسون**"؟

– كلا بالطبع يا سيدي العزيز.. على الرغم من أنني أخشى أنك لن تستطيع الحصول على معلومات أكثر مما قلته لك.

– هل يوجد أحد هناك؟ قال "**كروسفيلد**":

– فقط القائمين بالخدمة.. أما أصحاب المكان فقد تركوه بعد انتهاء التحقيق مباشرة، وعادت الآنسة "**ليندون**" إلى شارع "**هارلي**" وقال "**ساترزويت**":

– "**آن**".. ربما ذهبنا لزيارة الدكتور "**دافيز**" أيضًا..

– فكرة طيبة.. وحصلا على عنوان الطبيب المحلي، ثم شكرا العقيد "**جونسون**"

وغادرا المكتب. وبينما هما يسيران في الطريق قال السيد "**تشارلز**":

– الديك أفكار يا "**ساترزويت**"؟ قال "**ساترزويت**" مماطلا حتى يحتفظ برأيه للحظة الأخيرة:

– عن أي شيء؟ قال السيد "**تشارلز**" على العكس بلهجة التأكيد:

– إنهم مخطئون يا "**ساترزويت**".. يسيرون في الاتجاه الخاطئ.. يدور كل تركيزهم على الخادم.. على أنه القاتل.. ولكن نظريتهم لا تستند إلى دليل مقنع.. فنحن لا نستطيع أن نسقط من حساباتنا الميتة الأخرى.. تلك التي حدثت في بيتي..

– أما زلت مصرًا على وجود صلة بين الحادثتين؟

– لا شك في أنهما متصلتان.. كل الأدلة تشير إلى ذلك.. يجب أن نبحث عن العنصر المشترك.. من الذي كان موجوداً في كلتا المناسبتين؟

– نعم.. ولن يكون ذلك سهلا كما نتصور.. حيث يوجد كثير من العناصر المشتركة.. ألا ترى يا "**كارتر هوايت**" أن جميع الأشخاص على وجه التقريب كانوا حاضرين في المناسبتين؟ أومأ السيد "**تشارلز**" برأسه وقال:

– لقد أدركت ذلك بالطبع.. لكن ألا تستطيع أن تستنتج شيئًا من هذه الحقيقة؟

– لا أفهم ما تعنيه على وجه التحديد..

– هل ترى أن ما حدث مجرد مصادفة؟ كلا.. كان ذلك مقصوداً.. لماذا كان جميع الأشخاص الموجودين عند وقوع الوفاة الأولى موجودين في الثانية؟ مجرد مصادفة؟ كلا.. كان ذلك في إطار خطة.. تدبير خطة "**تولي**". قال "**ساترزويت**" بدهشة:

– أوه! نعم.. هذا محتمل..

– بل مؤكد.. لم تكن لتعرف "**تولي**" مثلما أعرفه يا "**ساترزويت**".. كان رجلا يحتفظ لنفسه بآرائه، وكان صبوراً للغاية.. لم أر "**تولي**" طوال الفترة التي

عرفته فيها يتسرع في إصدار حكم أو يبدي رأيا طائشًا.. انظر إلى القضية من هذه الزاوية.. لقد لقي "**بابنجتون**" مصرعه.. نعم.. لقد قتل.. أقول ذلك دون أي تحفظ.. وقد سخر "**تولي**" مني عندما قلت هذا الرأي، ولكنه كان يشك في الوقت نفسه ويحتفظ بشكوكه لنفسه.. وظل عقله يعمل في الخفاء ببطء وأناة.. ربما لم يكن ليرتاب في شخص معين ولكنه رسم خطة.. فلنقل إنه أجرى اختبارًا من نوع معين لكي يتوصل إلى حقيقة ذلك القاتل.

– وماذا بشأن الضيوف الآخرين؟ عائلة "**إيدن**" وعائلة "**كامبل**"؟

– مجرد تعمية؛ لكي يجعل الحقيقة أقل وضوحًا..

– وكيف تتخيل الخطة التي أعدها؟ هز السيد "**تشارلز**" كتفيه وقال:

– ومن أين لي أن أعرف؟ لست ساحرًا.. ولا أستطيع التخمين.. لكن كانت هناك خطة.. ولكن الخطة لم تنجح؛ لأن القاتل كان على درجة أكبر من الذكاء الذي تخيله "**تولي**".. وقد بادر القاتل بتوجيه الضربة..

– تقول هو؟

– أو هي.. فالسم هو السلاح الذي تستخدمه المرأة أكثر من الرجل.. التزم "**ساترزويت**" الصمت، واسترسل السيد "**تشارلز**" يقول:

– ألا تتفق في الرأي معي أم أنك في جانب الرأي العام؟

– رأيي أن الخادم هو القاتل.. هو الذي ارتكب الجريمة.

– وما تفسيرك لذلك؟

– أنا لم أفكر فيه.. ومن وجهة نظري لا أهمية للخادم.. ولكنني أستطيع أن أخمن تفسيرًا..

– مثل ماذا؟

– فلنقل إن رجال الشرطة على حق.. "**إيليس**" مجرم محترف.. يعمل بالاشتراك مع عصابة من اللصوص، تمكن "**إيليس**" من الحصول على الوظيفة بشهادات مزورة ثم قتل "**تولي**" بعد ذلك.. ما موقف "**إيليس**"؟ قتل رجل في

البيت.. ويوجد في البيت رجل بصمات أصابعه مسجلة في "**اسكتلانديارد**" ومعروف للشرطة.. من الطبيعي أن تتوتر أعصابه ويطلق لساقيه الريح.

– عن طريق الممر السري؟

– ليذهب الممر السري إلى الجحيم.. انتهز فرصة غفلة واحد من رجال الشرطة وتسلل إلى الخارج.

– هذه نظرية تبدو مقبولة.

– حسن يا "**ساترزويت**".. ما وجهة نظرك؟

– وجهة نظري؟ إنها وجهة نظرك نفسها.. يبدو لي أن ذلك الخادم أحمق.. أعتقد أن السيد "**بارثلوميو**" والسيد "**بابنجتون**" لقيا حتفهما على يد الشخص نفسه.

– تعني واحداً من المدعوين إلى الحفل؟

– نعم.. خيم الصمت لمدة دقيقة أو دقيقتين، ثم سأل "**ساترزويت**" بطريقة عابرة:

– من هو الشخص من وجهة نظرك؟

– يا إلهي.. يا "**ساترزويت**"! من أين لي أن أعرف؟

– أنت لا تستطيع أن تقول بالطبع.. لكن لا شك في أن فكرة خطرت ببالك.. ربما مجرد شكوك لا تستند إلى دليل ولكنك تستطيع أن تخمن. فكر السيد "**تشارلز**" قليلا ثم قال:

– أنت تعلم يا "**ساترزويت**"، أنك في اللحظة التي تفكر فيها جديًا في الأمر، يبدو لك استحالة أن يرتكب أي أحد من الموجودين الجريمة. قال "**ساترزويت**" ضاحكًا:

– أعتقد أن نظريتك صحيحة.. عندما نستعرض أسماء جميع الحاضرين فلابد من أن ندخل في حسابنا استبعاد مجموعة من الأشخاص بصورة قاطعة.. أنت وأنا على سبيل المثال والسيدة "**بابنجتون**".. وكذلك "**ماندرز**" الشاب يمكن

استبعاده . .

– "**ماندرز**" ؟

– كان ظهوره في الحفل نتيجة حادث . . لم توجه إليه الدعوة للحضور ولم يكن أحد ليتوقع وصوله . . وهذا يخرجه من دائرة المشتبه في أمرهم .

– والكاتبة المسرحية أيضًا "**أنتوني أستور**" .

– كلا . . كلا . . لقد كانت موجودة . . الآنسة "**موربيل ويلز**" .

– آه! لقد كانت موجودة . . نسيت أن اسمها "**ويلز**" . عبس السيد "**تشارلز**" وكان السيد "**ساترزويت**" بارعًا في قراءة أفكار الناس، واستطاع أن يخمن مايدور في ذهن الممثل، وعندما بدأ يتكلم أحس "**ساترزويت**" بالزهو، قال السيد "**تشارلز**" :

– أنت على حق يا "**ساترزويت**" لا أعتقد أنه وجه الدعوة إلى الأشخاص الذين يشتبه فيهم وحدهم؛ لأن السيدة "**ماري**" و"**إيج**" كانتا هناك . . كلا . . كان يريد أن يجري تجربة بالنسبة إلى ما حدث في المرة الأولى . . كان يرتاب في شخص معين، ولكنه كان يريد حضور مجموعة من شهود العيان لتتأكد ظنونه . . حدث شيء من هذا القبيل . . قال "**ساترزويت**" بعد هنيهة :

– يستطيع الإنسان أن يعمم فوق خشبة المسرح فحسب . . حسن . . نستطيع أن نستبعد السيدة "**ماري ليتون جور**" وابنتها . . كذلك أنا وأنت والسيدة "**بابنجتون**" و"**أوليفر ماندرز**" من يتبقى بعد ذلك؟ "**أنجيلا ساتكليف**" ؟

– "**أنجي**" ؟ الفتاة العزيزة . . لقد كانت صديقة لـ"**تولي**" منذ سنوات طويلة .

– معنى هذا أن المتبقي السيد والسيدة "**داكريس**" . . أنت في الواقع يا "**كارتر هوايت**"، تشتبه فيهما . . كنت تستطيع أن تقول ذلك عندما سألتك . حملق السيد "**تشارلز**" إلى وجهه ولم يجب . وأحس "**ساترزويت**" بالزهو والانتصار، وقال السيد "**تشارلز**" ببطء :

– لست أشك فيهما في الواقع . . لكن كفتهما تبدو أرجح من غيرهما . . أنا لا

أعرفهما معرفة جيدة.. ولكنني لا أجد سببًا واحدًا يدفع "**فريدي داكريس**" الذي يقضي معظم وقته في سباق الخيل، أو "**سينثيا**" التي تنفق كل وقتها في تصميم الأزياء الباهظة الثمن.. لا أرى دافعًا مقبولا يجعل أحدهما يفكر في التخلص من رجل دين عجوز لا أهمية له إطلاقًا.. هز رأسه بإصرار ثم التمع وجهه فجأة وقال:

– هناك تلك السيدة "**ويلز**".. ها قد نسيتها مرة أخرى.. ما السبب الذي يجعلك تنساها في كل مرة؟ إنها أكثر الأشخاص الذين عرفتهم شذوذًا وغرابة أطوار.. ابتسم "**ساترزويت**" وقال:

– أعتقد أن الآنسة "**ويلز**" تقضي وقتها في كتابة المذكرات.. وأرى أن تلكما العينين المتسترتين وراء عدسات النظارة لا تغفلان عن شيء.. وأعتقد أنها سجلت أي شيء يستحق التسجيل. قال السيد "**تشارلز**" بارتياب:

– هل تعتقد ذلك حقًّا؟

– أعتقد أن الشيء التالي الذي يجب أن نفعله هو أن نتناول الغداء.. وبعد ذلك نذهب إلى "**ميلفورد آبي**" لنرى ما نستطيع أن نستكشفه في الموقع.

– أنت تأخذ الأمر ببساطة يا "**ساترزويت**"..

– ليس إماطة السر عن الجريمة بالشيء الجديد عليّ...

- 3 -

بدا لأعين الرجلين الموقع الذي يقع فيه بيت "**ميلفورد آبي**"، حيث لقي الطبيب الراحل مصرعه في ذلك الوقت من أيلول (سبتمبر).. وكانت بعض أجزاء البيت مبنية على طراز القرن الخامس عشر، وتم تجديد المبنى وإضافة منشآت حديثة له حتى يناسب المصحة.. كان مبنى المصحة غير ظاهر من الخارج. استقبلت السيدة "**ليكي**" – الطاهية– الطارقين، وكانت الطاهية مرتدية ملابس الحداد والدموع في عينيها، وكانت تعرف السيد "**تشارلز**" جيداً، ووجهت إليه معظم الحديث وقالت له دامعة العينين:

– إنني واثقة بأنك تفهم يا سيدي، كيف كان وقع الحادث على نفسي.. ثم امتلاء البيت برجال الشرطة وفحصهم لكل ركن.. ووابل الأسئلة التي أمطروا بها الجميع، لقد عشت حتى أرى مثل هذا الشيء.. الطبيب.. الجنتلمان الهادئ.. كان يوم الحفل من الأيام التي نفخر بها.. حتى "**بياتريس**" التي التحقت بخدمة الطبيب بعدي بعامين لا تستطيع أن تنسى ما حدث في ذلك اليوم المفجع.. سكتت "**ليكي**" هنيهة لتلتقط أنفاسها، ثم استأنفت حديثها قائلة:

– سيل من الأسئلة عن الخادمات اللائي يعملن في البيت. على الرغم من أنه لا غبار على أي واحدة منهن.. وإن كانت "**دوريس**" تستيقظ في الصباح متأخرة، وكنت ألفت نظرها لذلك مرة على الأقل كل أسبوع، وكانت مهملة بعض الشيء، لكن ماذا تنتظر من شابات غير مدربات ؟. ومع هذا فكلهن طيبات وليس لديَّ غير هذا أقوله للشرطة.. نعم قلت لمفتش الشرطة: لا تنتظر مني أن أقول شيئًا ضد واحدة منهن.. ولا توجد صلة بين إحداهن والجريمة التي وقعت.. سكتت "**ليكي**" هنيهة ثم أردفت تقول:

– أما بالنسبة إلى "**إيليس**" فالأمر يختلف.. لا أعرف شيئًا عن السيد "**إيليس**"، ولم يكن باستطاعتي أن أجيب عن أي سؤال بشأنه.. لقد جاء من "**لندن**" وهو غريب عن المكان في حين كان السيد "**بيكر**" في إجازة. سأل "**ساترزويت**" بدهشة:

– "**بيكر**" ؟!

– كان السيد "**بيكر**" الوصيف الخاص للسيد "**بارثلوميو**" في خلال السنوات السبع الماضية.. وكان الطبيب يقضي معظم وقته في "**لندن**" في "**هارلي ستريت**".. هل تذكره يا سيدي؟ نظرت تجاه السيد "**تشارلز**" الذي أومأ برأسه وقالت:

– كان السيد "**بارثلوميو**" يحضره معه إلى هنا كلما أقام حفلا، ولم تكن صحته جيدة؛ لهذا أعطاه السيد "**بارثلوميو**" إجازة لمدة شهرين مدفوعة الأجر. كان

الطبيب رجلا رقيقًا.. وقد استخدم السيد "**إيليس**" لفترة مؤقتة.. لهذا قلت لمفتش الشرطة إنني لا أعرف شيئا عن السيد "**إيليس**". سألها السيد "**تشارلز**":

– ألم تلاحظي شيئًا غير عادي فيه؟

– هذا سؤال غريب في الواقع يا سيدي.. لأنني لاحظت ولم ألاحظ.. نظر إليها "**تشارلز**" مشجعًا وتابعت حديثها قائلة:

– كان من ناحية رجعيًّا.. ولكنه مؤدب للغاية؛ لأنه خدم في بيوت كبيرة.. ولكنه كان منطويًا على نفسه يقضي أغلب الوقت في غرفته.. طلب إليها السيد "**ساترزويت**" أن تصف الخادم فقالت:

– كان منظره يوحي بالاحترام الشديد.. سوالف قصيرة وشعر رمادي.. كان.. كان يعرج قليلا.. ترتعد يده.. في عينيه بعض الضعف ربما؛ لأن الضوء يؤذيه.. عندما كان يقضي وقته معنا كان يلبس نظارة طبية ولكنه لم يكن ليستخدمها في أوقات العمل. سألها السيد "**تشارلز**" عما إذا كانت به علامات مميزة كندبة، أو إصبع مفقود، أو شامة وأجابته بالنفي.. هز السيد "**تشارلز**" رأسه أسفًا وهو يقول:

– في الروايات البوليسية توجد دائمًا علامة مميزة.. قال "**ساترزويت**":

– إن إحدى أسنان الخادم مفقودة، وقالت الطاهية إنها تذكر ذلك. وسألها "**ساترزويت**" عن سلوك الخادم في ليلة المأساة، فقالت إنها كانت مشغولة في المطبخ ولم تلاحظ شيئا وأضافت:

– عندما تلقينا خبر موت السيد اندفعنا جميعا وأنا أبكي وكذلك "**بياتريس**".. كان الجميع متأثرين ولكن "**إيليس**" كان هادئًا، ربما لأنه حديث عهد بالخدمة.. وقد أصر على أن أشرب أنا و"**بياتريس**" كأسًا من الشراب؛ لنهدئ أعصابنا.. وكان الوغد.. تعثرت الكلمات على شفتيها وسألها السيد "**تشارلز**" عما إذا كان قد اختفى في تلك الليلة وقالت:

– نعم.. انسحب إلى حجرته ولم نره في الصباح.

– ألديك فكرة عن الطريقة التي غادر بها البيت؟

– كلا . .

– سمعتهم يتحدثون عن سرداب سري . .

– هذا ما يقوله رجال الشرطة . .

سألها السيد "**تشارلز**" عما إذا كان يستطيع أن يتحدث إلى بقية الخدم، وأخبرته بأنهم لا يستطيعون أن يزودوه بمعلومات أكثر مما قالته، وعندما كرر السيد "**تشارلز**" طلبه استدعت "**بياتريس**"، وأجابته عن سؤال عن ردة الفعل التي حدثت بعد إعلان موت السيد "**بارثلوميو**"، قالت :

– كانت الآنسة "**ساتكليف**" منهارة تمامًا . . سبق أن زارت البيت من قبل . . أما السيدة "**داكريس**" فقد تلقت النبأ بهدوء، وكانت ترغب في ترك المكان بسرعة، أما زوجها فقد كان يهدئ أعصابه بتناول الشراب . . أما السيدة "**ماري**" وابنتها فقد هزتهما الفجيعة .

– والآنسة "**ويلز**"؟

– لا أستطيع أن أحكم على مشاعرها يا سيدي . عندما شجعها السيد "**تشارلز**" على الكلام . قالت :

– إن الآنسة "**ويلز**" كانت تتصرف تصرفات تقل عن مستوى الآخرين . كانت تتلصص وتتجسس . وسألها "**ساترزويت**" عن السيد "**ماندرز**" فقالت :

– لقد وصل فجأة بعد أن حدثت لسيارته حادثة بالقرب من البيت . .

– هل دهش الجميع لدى ظهوره؟

– بالطبع يا سيدي . . وعند سؤالها عن "**إيليس**" لم تقل شيئًا، وإن كانت مندهشة للسبب الذي يدفعه إلى إيذاء سيده . وعندما سئلت عن الحالة النفسية للطبيب قالت :

– إنه كان مبتهجًا، وإنه على خلاف عادته، مزح مع "**إيليس**" عندما جاء يخبره بأن سيدة تطلبه تليفونيًّا من المصحة، وذكر اسمًا غريبًا . . حاولت الخادمة أن تتذكر الاسم وقالت :

– السيدة "**راشبريدجر**".. هز السيد "**تشارلز**" رأسه قائلا:

– اسم غريب.. شكرًا لك يا "**بياتريس**".. هل نستطيع أن نقابل "**أليس**" الآن؟
عندما غادرت "**بياتريس**" الغرفة تبادل السيد "**تشارلز**" و"**ساترزويت**" النظرات، وقال السيد "**تشارلز**":

– كانت الآنسة "**ويلز**" تتلصص وتتجسس.. وانغمس النقيب "**داكريس**" في الشرب، ولم تظهر السيدة "**داكريس**" أي عاطفة.. ألا تستخلص شيئًا من ذلك؟ نرجو أن تضيف "**أليس**" شيئًا إلى معلوماتنا.

كانت "**أليس**" شابة سوداء العينين في الثلاثين من عمرها. كانت سعيدة للتحدث إليها، لم تشارك الشرطة رأيهم بالنسبة إلى السيد "**إيليس**" حيث تراه مهذبًا.. وقالت:

– إن الخادم لم تكن لديه أدنى فرصة لدس السم في كؤوس الشراب؛ لأنني كنت أحمل الصينية وأصاحبه في أثناء توزيع الكؤوس. وسألها السيد "**تشارلز**":

– هل أنت واثقة بأن الطبيب لم يأكل أو يشرب شيئًا غير الذي تناوله الجميع؟

– كلا.. لم أره في الواقع يفعل شيئًا كهذا..

– هل تعرفين شيئًا عن ممر سري في البيت؟

– حدثني البستاني عن شيء كهذا ولكنني لم أره..

– ألم يذكر "**إيليس**" شيئًا عن الممر؟

– كلا.. أنا واثقة بأنه لم يكن ليعرف شيئًا عن هذا الممر.

– هل تعتقدين أنه قتل سيدك؟

– لا أصدق أن أحدًا يفعل شيئًا كهذا.. ربما كانت مصادفة.. عندما خرجت "**أليس**" قال السيد "**تشارلز**":

– لولا موت "**بابنجتون**" لصدقت أن ما حدث للطبيب كان مصادفة.. وفي هذه الحالة أشك في أن الخادمة الشابة هي القاتلة؛ لأنها جميلة وربما.. قال "**ساترزويت**":

– ولكنه كان في الخامسة والخمسين من عمره، وليس يعقل أن يفكر في هذه السن.. قاطعه السيد "**تشارلز**" قائلا بعصبية:

– لا تنس يا "**ساترزويت**" أنني أشرف على الثانية والخمسين من عمري..

قال السيد "**تشارلز**" ذلك وتضرج وجهه بحمرة الخجل.. عرض "**ساترزويت**" فحص غرفة "**إيليس**" قائلا:

– ربما عثرنا على شيء لم يتنبه إليه رجال الشرطة. وقال السيد "**تشارلز**" باحتقار:

– الشرطة؟! إنهم أغبياء.. عندما فحصوا الغرفة كانوا يبحثون عن دليل للاتهام، أما نحن فسوف نبحث عن دليل للبراءة.

لم يكن منظر الغرفة يوحي بشيء، واتضح أن "**إيليس**" ترك ملابسه في أماكنها، مما يؤكد أنه خرج مرتديا الزي الرسمي للخدم، وعندما أبدى "**ساترزويت**" دهشته لذلك قال السيد "**تشارلز**":

– نعم.. هذا تصرف غريب.. يوحي كما لو أن الخادم لم يغادر البيت قط.. ولكن هذا هراء! استأنفا البحث ولم يعثرا على خطابات أو أوراق فيما عدا قصاصة من إحدى الصحف عن علاج بثور القدم.. وفقرة تشير إلى قرب زواج ابنة أحد الدوقات، وعثرا على نشافة أوراق وزجاجة حبر، وانتزعا الورقة من النشافة لعلهما يستطيعان قراءة ما عليها من الكتابة إلا أنهما لم يظفرا بطائل، وقال "**ساترزويت**":

– إما أنه لم يكتب أي خطابات منذ مجيئه، أو أنه لم يستخدم ورق النشاف..

– هروبه يؤكد أنه يخفي سرًّا، ولكن الذي أستطيع أن أقوله: إنه لم يقتل "**تولي**".

انحنيا ليفحصا الأرض والسجاد، ولم يكتشفا سوى بقعة حبر بالقرب من المدفأة.. اضطرا في النهاية إلى مغادرة البيت آسفين على الوقت الذي ضاع دون فائدة، واستسلم كل منهما لأفكاره، "**ساترزويت**" يفكر في أقوال الخدم وقلة

المعلومات التي حصلا عليها، والسيد "**تشارلز**" يفكر فيما قيل عن تلصص الآنسة "**ويلز**" وتجسسها، وأن الآنسة "**ساتكليف**" كانت شديدة الاضطراب، بينما كانت السيدة "**داكريس**" هادئة تمامًا، في حين انغمس زوجها في الشراب، وحاول أن يستخلص من ذلك شيئًا، ولكنه لم يستطع التوصل إلى شيء. وسأل "**ساترزويت**" عن رأيه وقال بعد تفكير:

– يبدو أن كل ما نعرفه عن "**إيليس**" أنه كان يعاني تورمًا في قدمه. ابتسم السيد "**تشارلز**" وقال باستخفاف:

– وبماذا تفيدنا هذه الملاحظة؟ هز "**ساترزويت**" كتفيه دون أن يجيب ثم قال بعد تردد:

– الشيء الوحيد الذي أثار اهتمامي هو ما قيل عن مزاح السيد "**بارثلوميو**" مع الخادم. على الرغم من أن ذلك مخالف لطبعه..

– أنا أكثر منك معرفة بطباع "**تولي**".. لم يكن ليتصرف مثل هذا التصرف لولا أنه كان في حالة غير طبيعية في تلك اللحظة.. أنت محق في هذا يا "**ساترزويت**".. هل تذكر متى حدثت هذه الواقعة؟ بعد أن أخبره "**إيليس**" بالمحادثة التليفونية.. وهذا يجعلني أستنتج أن الأمر كان يتعلق بهذه المكالمة.. هل تذكر أنني سألت الخادمة عن المتحدث، وأنها قالت: إنها سيدة تدعى السيدة "**راشبريدجر**" وصلت لتوها إلى المصحة.. ولكنني لا أعتقد أن هذا أمر يثير أعصاب الطبيب.. قال "**ساترزويت**" وهو شارد اللب:

– ربما كان لذلك معنى لا نعرفه..

– يجب أن نبحث عن هذا المعنى.. ربما كانت مكالمة شفرية تعني شيئًا معينًا.. لو أن "**تولي**" كان يتحرى عن أسباب موت "**بابنجتون**"، فلعل المكالمة كانت تدور حول ذلك الموضوع.. ربما استأجر مخبرًا خاصًا وقال له كلامًا يتفق مع شكوكه مما أبهج نفسه وجعله يمزح مع الخادم. سأل "**ساترزويت**" باهتمام:

– هل تعتقد أنه لا توجد شخصية حقيقية باسم السيدة "**راشبريدجر**"؟

– حسن.. أعتقد أنه يجب علينا أن نتحقق من ذلك. بينما كانا في طريقهما إلى المصحة سأل "**ساترزويت**" الممثل عما إذا كانت زيارته لبيت الطبيب قد أوحت له بشيء، وقال السيد "**تشارلز**":

– نعم.. هناك شيء.. لكن يا إلهي! إنني أحاول أن أتذكر لكن لا أستطيع أن أتذكره الآن. نظر إليه "**ساترزويت**" بدهشة، وأردف الممثل يقول:

– كيف أفسر لك الأمر؟ رأيت خطأ ما ولكنني أسقطته وقتها من تفكيري.. وكلما حاولت الآن تذكره ابتعد أكثر وأكثر..

كانت كبيرة الممرضات تعرف السيد "**تشارلز**" بالاسم. وأخبرها بأنه عائد لتوه من الخارج ولقد انزعج عند سماع خبر موت السيد "**بارثلوميو**"، وأنه قد جاء ليعرف تفاصيل الحادث، تحدثت كبيرة الممرضات عن الطبيب الراحل بتأثر شديد، وقالت:

– إن له شريكين يقيم أحدهما في المصحة، وإن السيد "**بارثلوميو**" كان شديد الاعتزاز بالمصحة، وإن أغلب الحالات التي كان يعالجها تتصل بالأعصاب. وقال السيد "**تشارلز**":

– يذكرني هذا بشخص التقيت به في "**مونت كارلو**"، وأخبرني بأن إحدى قريباته سوف تأتي إلى هنا.. نسيت الآن اسمها.. اسم غريب.. "**راشبريدجر**" شيء من هذا القبيل..

– لعلك تعني السيدة "**راشبريدجر**"؟

– هذا هو الاسم.. هل هي موجودة هنا الآن؟

– أوه! نعم.. ولكنها لن تستطيع مقابلتك لبعض الوقت. إنها تعالج في الوقت الحاضر تحت نظام من العلاج الصارم.. غير مسموح لها بمقابلة الزوار..

– أهي في حالة سيئة؟

– تعاني انهيارًا عصبيًا حادًا، وفقدانًا للذاكرة، وإرهاقًا شديدًا.. ولكننا سوف نعمل على شفائها. عندما سألها السيد "**تشارلز**" عما إذا كانت صديقة للطبيب.

فضلا على كونها واحدة من مرضاه. قالت كبيرة الممرضات:

– لا أظن ذلك يا سيد "**تشارلز**".. كانت قد وصلت لتوها من جزر "**الهند**" الغربية، والشيء الغريب أنه على الرغم من تعقيد اسمها فقد تمكن خادم السيد "**بارثلوميو**" من تذكر الاسم..

– هل جاء زوجها معها؟

– كلا.. لايزال في جزر "**الهند**" الغربية.

– يبدو أنني خلطت بينها وبين حالة أخرى.. هل كانت من الحالات التي يوليها الطبيب عناية خاصة؟

– حالات فقدان الذاكرة شائعة ولكنها تثير اهتمام الطبيب دائمًا؛ لأنه قلما تتشابه حالتان.

– شكرًا لك.. أنا سعيد لحديثي إليك.. وأنا أعرف جيدًا كيف كان السيد "**بارثلوميو**" يقدرك.. طالما حدثني عنك..

– أنا سعيدة لسماع ذلك.. كان طبيبًا عظيمًا وقد فقدناه. وكيف؟ بجريمة قتل.. ذلك الخادم الفظيع.. أرجو أن تتمكن الشرطة من إلقاء القبض عليه. في أثناء خروجهما من المصحة توقفا قليلا أمام الجزء من السور الذي اصطدمت به السيارة التي كان يركبها "**أوليفر ماندرز**"، وأمطر "**ساترزويت**" الحارس بوابل من الأسئلة وقال الحارس إنه لم ير الحادث وقت وقوعه، ولكنه سمع الصوت وجاء على أثره ليرى ما حدث، ووجد الشاب واقفًا على قدميه. لم يصب بأذى مكتفيًا بالنظر إلى سيارته المحطمة، وسأل الحارس عن اسم المكان وعندما سمع أنه للسيد "**بارثلوميو سترينج**" قال بسرور: هذا من حسن الطالع.. ثم توجه نحو البيت.. وقال "**ساترزويت**" مفكرًا:

– كانت حادثة غريبة.. تطلع حوله ولم يجد منحنى خطيرًا، أو مفترقًا للطرق، أو أي عائق يمكن أن يتسبب في انحراف السيارة وارتطامها بالسور، وسأله السيد "**تشارلز**" بفضول:

– ما الذي يدور بذهنك يا "**ساترزويت**" ؟

– لا شيء.. لا شيء.

– إنه أمر غريب حقًا..

توجها نحو السيارة التي كانت في انتظارهما، وكل منهما يفكر في الموقف.. لم تكن رسالة شفرية كما تخيل "**ساترزويت**".. لكن ماذا بشأن السيدة نفسها؟ هل كانت شاهدة على شيء معين؟ أم هي حالة خاصة أثارت انتباه الطبيب؟ هل كانت سيدة جذابة؟ هل يمكن أن يقع رجل في الخامسة والخمسين من عمره في غرامها؟ انقطعت أفكار "**ساترزويت**" فجأة عندما قال له السيد "**تشارلز**" :

– "**ساترزويت**".. هل تمانع في أن نعود إلى المصحة؟ ودون أن ينتظر ردًا أصدر أوامره للسائق بالعودة، وسأله "**ساترزويت**" بدهشة:

– ماذا حدث؟

– لقد تذكرت.. تذكرت الشيء الذي بدا وقتها غريبًا.. إنها بقعة الحبر التي كانت موجودة على أرضية غرفة الخادم.

- 4 -

قال السيد "**تشارلز**" في أثناء الطريق:

– إن بقعة الحبر التي كانت على الأرض بالقرب من المدفأة، كانت صغيرة لا يمكن أن تنتج من انسكاب زجاجة الحبر، وإنما من وقوع قلم الحبر. وأضاف:

– ونحن لم نعثر على قلم الحبر. وإذا كانت هذه البقعة قد حدثت فلأن القلم كان مرفوع الغطاء؛ لأن الخادم كان يكتب شيئًا وهذا ما سوف نتحقق منه.. برر السيد "**تشارلز**" عودته بأنه نسي قلمه في غرفة الخادم، وعندما سمح لهما بالعودة إلى الحجرة وأغلقا الباب وراءهما قال السيد "**تشارلز**" :

– سوف نرى الآن ما إذا كانت فكرتي وجيهة أم أنها كانت مجرد هراء؟

جلس "**ساترزويت**" على حافة السرير، مكتفيًا بمراقبة السيد "**تشارلز**" وهو

يفحص مكان بقعة الحبر ويستعرض الغرفة بنظراته، وقال في النهاية:

– إن الإنسان لا يلقي بالقلم على الأرض إلا إذا ثارت أعصابه كأن يجف الحبر ويرفض السن الكتابة. وقال "**ساترزويت**" :

– إن القلم ربما انزلق وسقط على الأرض. وبدأ السيد "**تشارلز**" يجري مجموعة من التجارب وهو يجعل القلم ينزلق من فوق حاجز المدفأة، ولكنه لم يره يصل في أي تجربة إلى مكان بقعة الحبر، قال بضيق:

– هذا مستحيل. سكت هنيهة ثم قال مفكراً:

– ربما كان يحرق بعض الأوراق.. استمتع "**ساترزويت**" في خلال الدقائق التالية بمشاهدة السيد "**تشارلز**" وهو يستعرض مواهبه كممثل منتحلا شخصية الخادم. كان السيد "**تشارلز**" شارد اللب وهو يستعرض الحجرة بنظراته القلقة، ثم رفع عينيه فجأة كأنه سمع وقع خطوات في الممر.. كان ضمير الرجل يشعر بالإثم، وقفز من مكانه ممسكًا الورقة التي كان يكتبها في يد والقلم في اليد الأخرى، واجتاز الغرفة متجها نحو المدفأة، ورأسه نصف ملتفت في يقظة إلى الخارج في خوف.. حاول أن يدس الورقة خلف المدفأة، ولكي يتمكن من استخدام كلتا يديه رمى القلم فسقط حيث كانت بقعة الحبر.. عندئذ صفق له "**ساترزويت**" قائلا بإعجاب:

– حسنًا. قال السيد "**تشارلز**" بزهو:

– هل رأيت؟ عندما سمع ما تخيل أنهم رجال الشرطة فكر في إخفاء الورقة.. أين يخفيها؟ خلف المدفأة.. هذه فرصته الوحيدة.. وسوف نفتش هذا المكان لنرى ما إذا كانت افتراضاتنا صحيحة.. خلع السيد "**تشارلز**" سترته ودس يده في الفجوة خلف المدفأة، وأشرق وجهه بالسرور عندما لمست يده مجموعة من الأوراق المطوية. أخرجها بحذر.. كانت مجموعة من الخطابات مكتوبة بخط صغير أنيق.. كان الخطاب الأول يقول: «معنى هذا أن كاتب هذه الرسالة لا يريد أن يسبب حزنًا؛ لأنه ربما كان مخطئًا في تفسير ما رآه الليلة، ولكن..» كان من الواضح أن الكاتب لم يكن راضيا عما كتبه، لهذا توقف عن إكمال الخطاب وبدأ يكتب من

جديد :

« يقدم "**جون إيليس**" الخادم تهانيه، ويسعده أن يحظى منكم بلقاء قصير حول مأساة الليلة قبل أن يتقدم بمعلوماته للشرطة ».. ويبدو أن هذه الصيغة لم تعجبه فحاول من جديد : « لدى "**جون إيليس**" بعض المعلومات حول موت الطبيب.. إنه لم يتقدم بعد بما لديه من معلومات للشرطة ».. وكانت صيغة الرسالة التالية هي: « إنني أعرف كيف مات الطبيب.. لم أقل حتى هذه اللحظة شيئًا لرجال الشرطة.. لو أنك قابلتني– انتهى الخطاب عند هذا الحد، وكانت الكلمات الأخيرة مهزوزة نتيجة لاستخدام ورقة النشاف مما يوحي بأن الخادم سمع صوتًا في تلك اللحظة أفزعه، ومن ثم سارع إلى طي الورق وإخفائه، وقال "**ساترزويت**" بإعجاب:

– دعني أهنئك يا "**كارتر هوايت**".. كانت نظريتك حول بقعة الحبر سليمة.. والآن دعنا نرى أين نقف؟ كان "**إيليس**" وغدا كما تخيلنا، ولكنه ليس القاتل إلا أنه يعرف ذلك القاتل، وكان يستعد لابتزاز المال منه أو منها. قاطعه السيد "**تشارلز**" بقوله:

– هو أو هي.. شيء مثير للضيق؛ ألا نعرف ما إذا كان رجلا أم امرأة؟ يبدو أن الخادم كان فنانًا يختار ألفاظه بعناية.. لو أنه كشف لنا عن الشخصية التي يخاطبها..

– على الرغم من كل شيء نحن نتقدم.. هل تذكر أنك قلت إننا نبحث عن دليل لبراءة "**إيليس**" وقد عثرنا عليه.. تدل هذه الرسائل على براءته من جريمة القتل.. كان عديم الشرف وليس قاتلا.. لم يقتل السيد "**بارثلوميو**"، وإنما ارتكب الجريمة شخص آخر.. الشخص الذي قتل "**بابنجتون**" أيضًا.. أعتقد أن رجال الشرطة يجب أن يقفوا على ما توصلنا إليه.

– هل تريد أن نخطر الشرطة بما اكتشفناه؟

– لا أرى حلا آخر.. لماذا نخفي عنهم ذلك؟

– حسن.. كيف أوضح لك وجهة نظري؟ إننا نعرف الآن ما لا يعرفه سوانا..

تبحث الشرطة عن "**إيليس**" ظنا منهم أنه القاتل.. يعتقد الجميع أنه القاتل وهكذا يتصور القاتل الحقيقي أنه في أمان.. أليس من المؤسف أن نقلب هذا الوضع رأسًا على عقب؟ أليست هذه فرصتنا؟ أعني فرصة اكتشاف الصلة بين "**بابنجتون**" وواحد من هؤلاء الناس.. لا أحد يربط بين هذه الجريمة وموت "**بابنجتون**".

– فهمت ما تعنيه وأوافقك على وجهة نظرك، لكن واجبنا كمواطنين أن نخطر الشرطة بما يتوافر لنا من معلومات.. ليس من حقنا أن نخفي عنهم هذه المعلومات.

هز السيد "**تشارلز**" رأسه وقال في ضيق:

– أقدر فيك نزعة المواطن الصالح.. ولكن لا ضرر في أن نحتفظ بمعلوماتنا لأنفسنا لمدة يوم أو يومين.. لكن لا بأس.. سأنفذ رغبتك.

– أنت تعرف أن المفتش "**جونسون**" صديقي..

– حسن.. لكن لا تنس أن رجال الشرطة فتشوا الغرفة ولم يكتشفوا الخطابات لأنهم أغبياء.. والآن.. هل لديك فكرة عن مكان "**إيليس**" الآن؟

– أعتقد أنه نال ما كان يسعى إليه.. أخذ المال واختفى تمامًا..

– نعم.. أعتقد أن هذا ما حدث.. إنني لا أحب هذه الغرفة.. هيا بنا نغادرها..

عاد السيد "**تشارلز**" والسيد "**ساترزويت**" إلى "**لندن**" مساء اليوم التالي، ولم يكن رئيس الشرطة "**كروسفيلد**" سعيدًا لنجاح رجلين من المدنيين في اكتشاف ما عجز مساعدوه عن التوصل إليه.. وأدى ذلك الاكتشاف إلى عزم العقيد "**جونسون**" على الاتصال بشرطة "**لوماوث**" لإعادة التحقيق في موت "**بابنجتون**"، وقال السيد "**تشارلز**" في أثناء توجههما إلى "**لندن**":

– لو أنهم اكتشفوا أن القس مات بسبب التسمم بالنيكوتين، فسوف يقتنع رجال الشرطة بوجود صلة بين حادثتي الوفاة..

لم يكن السيد "**تشارلز**" مرتاحًا لما أفضى به للشرطة، وحاول "**ساترزويت**" تهدئته، وعند وصولهما إلى "**لندن**" قال السيد "**تشارلز**" إنه قرر الاتصال بـ"**إيج**

ليتون جور"، وإنه يرجو أن تكون موجودة في العنوان الذي راسلته منه في ميدان "**بلجريف**".. ووافقه "**ساترزويت**" على الفكرة؛ لأنه كان تواقًا إلى رؤية "**إيج**".
كانت "**إيج**" لاتزال باقية في "**لندن**" وتقيم هي وأمها مع بعض الأقارب. وكان من المقرر عدم عودتهما إلى "**لوماوث**" قبل أسبوع. وتم الاتفاق مع الفتاة على تناول العشاء معهما في "**بركلي**".. لاحظ "**ساترزويت**" عند وصول الفتاة أنها أكثر نحافة، وأن عينيها أكثر اتساعًا إلا أن سحرها لم يبهت، وقالت للسيد "**تشارلز**":

– كنت أعرف أنك سوف تحضر.. سكتت قليلا ثم أردفت تقول:

– الآن بعد وصولك سوف يكون كل شيء على ما يرام. همس "**ساترزويت**" لنفسه: «لم تكن واثقة بعودته وكانت شديدة القلق.. ألا يدرك الرجل ذلك؟ ألا يدرك أنها غارقة لأذنيها في حبه؟» كان "**ساترزويت**" متأكداً من حبه لها، وأن الخيط الوحيد الذي يجمع بينهما جريمة– جريمة مزدوجة– تحدث السيد "**تشارلز**" في أثناء العشاء عن رحلته إلى الخارج، وتحدثت "**إيج**" عن "**لوماوث**"، وتوجهوا بعد العشاء إلى بيت "**ساترزويت**"، وبمجرد جلوسها طلبت إلى السيد "**تشارلز**" أن يخبرها بكل ما لديه، وأنصتت إليه باهتمام وهو يروي مغامراته في "**يوركشاير**" وخطابات التهديد التي اكتشفها، واختتم السيد "**تشارلز**" قصته بقوله:

– من المرجح أن "**إيليس**" تقاضى ثمن سكوته، وأن القاتل سهل له مهمة الهرب.. هزت "**إيج**" رأسها علامة النفي وهي تقول:

–كلا.. رأيي أن "**إيليس**" مات. نظر إليها الرجلان بارتياع.. كان الرجل يعرف الكثير ولعله قتل.. لم يفكر أحدهما في هذا الاحتمال من قبل، وقال السيد "**تشارلز**" أخيراً:

– إذا كان قد قتل فأين الجثة؟ وقالت "**إيج**":

– لا أدري.. لابد من أن هنالك أماكن عديدة لإخفائها.. ربما كانت في حقيبة موضوعة بغرفة السطح..

– إذا كان الأمر كذلك فربما احتاج اكتشافها إلى بعض الوقت.

– تتصاعد الرائحة إلى أعلى لا إلى أسفل.. ولو أنها كانت موضوعة في البدروم لتم العثور على الجثة بسرعة..

– لو كانت نظريتك صحيحة، فمعنى هذا أن القاتل رجل؛ لأن السيدة لا تستطيع جر الجثة إلى السطح..

– هنا احتمالات أخرى، ربما أرشده القاتل إلى الممر السري وصحبه إلى هناك وقتله.. تستطيع سيدة أن تطعنه من الخلف، وتترك الجثة في الممر وتعود ولن يدري أحد بما حدث. هز "**تشارلز**" رأسه بارتياب. وهمس "**ساترزويت**" لنفسه: « لو أن "**إيليس**" مات حقًّا فنحن نتعامل مع شخص بالغ الخطورة». ارتجف "**ساترزويت**" أمام ذلك الخاطر.. إن الشخص الذي ارتكب ثلاث جرائم لن يتورع عن المزيد من القتل.. وأدرك الخطر المحدق بثلاثتهم: هو والسيد "**تشارلز**" و"**إيج**".. أفاق "**ساترزويت**" من خواطره على صوت السيد "**تشارلز**" يقول:

– هناك أمر في خطابك لم أفهمه يا "**إيج**".. تحدثت عن الخطر الذي يتهدد "**أوليفر ماندرز**" على الرغم من أن الشرطة لا ترتاب فيه، ولا أرى أدنى شك يحيط به. احمر وجه "**إيج**" وقالت:

– كان ذلك غباء مني.. كنت أتخيل أن رجال الشرطة يرتابون فيه. قال السيد "**تشارلز**" باكتئاب:

– حسن.. إذا كان صديقنا الشاب لا يواجه أي خطر فما موقفي؟ مالت "**إيج**" نحوه وأمسكت بكم سترته قائلة:

– لن تهرب مرة أخرى.. سوف تستمر إلى أن تكتشف الحقيقة.. لا أستطيع أن أصدق أن أحداً غيرك يستطيع أن يتوصل إلى الحقيقة.. أنت تستطيع وسوف تفعل.. قال السيد "**تشارلز**":

– هل تؤمنين بي؟

– نعم.. نعم.. نعم.. نعم.. سوف نتوصل إلى الحقيقة معًا.. أنا وأنت.

– وماذا بشأن "**ساترزويت**"؟

– والسيد "**ساترزويت**" بالطبع. ابتسم "**ساترزويت**" وهو يحدث نفسه قائلا: « سواء أكانت تريد اشتراكي أم لم ترد فليس في نيتي الانسحاب». قال السيد "**تشارلز**":

– أولا يجب أن نتفق على رأي.. هل الذي قتل "**بابنجتون**" و"**بارثلوميو سترينج**" هو الشخص نفسه؟ قالت "**إيج**" فوراً:

– نعم.. وأ ـ "**ساترزويت**" على رأيها، وعاد السيد "**تشارلز**" يقول:

– هل نعتقد أن "**بارثلوميو**" لقي مصرعه لمنعه من كشف سر الجريمة الأولى أو لارتيابه فيها؟ اتفق رأي "**إيج**" و"**ساترزويت**" على الإجابة بـ"نعم"، وأردف السيد "**تشارلز**" يقول:

– إذن يجب أن نبحث في الجريمة الأولى لا الثانية، وحتى نعرف الدافع لارتكاب هذه الجريمة فلا أمل لنا في اكتشاف القاتل.. فلنسأل أنفسنا: ما الأسباب التي تدفع الناس إلى القتل؟

– أولا على ما أعتقد.. المكسب.. وأضافت "**إيج**":

– والانتقام. وقال "**ساترزويت**":

– وجنون القتل.. وأيضاً الخوف. هز السيد "**تشارلز**" رأسه وقال:

– نعم.. الكسب أولا.. من الذي يكسب من وراء موت "**بابنجتون**"؟ هل يملك مالا أو ينتظر أن يحصل على ثروة؟ قالت "**إيج**":

– إن ذلك غير محتمل. قال السيد "**تشارلز**":

– هذا رأيي أيضاً، لكن من الأفضل أن نتصل بالسيدة "**بابنجتون**" للتحقق من هذه النقطة.. وبالنسبة إلى الانتقام.. هل أساء "**بابنجتون**" في شبابه إلى شخص ما؟ هل تزوج الفتاة التي كان يحبها إنسان آخر؟ سوف نبحث هذه النقطة أيضاً.. أما بالنسبة إلى مجرم مصاب بجنون القتل فهو من وجهة نظري أمر مستبعد.. ويبقى لدينا الدافع الأخير وهو الخوف.. ورأيي أنه الأرجح.. كان "**بابنجتون**"

يعرف شيئًا عن شخص أو لعله تعرف إلى شخص ولقي مصرعه حتى لا يحدث أحداً عما يعرفه. قالت "**إيج**" :

– لا أظن أن "**بابنجتون**" كان يعرف شيئًا مدمراً بالنسبة إلى واحد ممن كانوا موجودين في تلك الليلة. قال السيد "**تشارلز**" مدافعًا عن وجهة نظره:

– ربما كان شيئًا لا يدرك أنه يعرفه.. من الصعب أن أشرح ما أقصده.. مثل رؤيته لشخص ارتكب جريمة واستطاع أن يثبت وجوده في مكان آخر، ولكن "**بابنجتون**" رآه في وقت ومكان الجريمة.. أو رأى شخصًا كان يعرفه باسم آخر.. أو لعله أمر يتصل بالميلاد أو الوفاة. قالت "**إيج**" :

– هذا يجعل مجال البحث متسعًا، وعلينا أن نبدأ باستعراض الأشخاص الذين كانوا موجودين ليلة وفاته.. من كان موجوداً في بيتك؟ ومن كان موجوداً في بيت الطبيب؟ أخذت من السيد "**تشارلز**" ورقة وقلماً وقالت:

– السيد والسيدة "**داكريس**" كانا في الحفلين.. وتلك السيدة التي تدعى "**ويلز**".. والآنسة "**أنجيلا ساتكليف**".. قال السيد "**تشارلز**" معترضًا:

– استبعدي "**أنجيلا**".. لقد عرفتها منذ زمن طويل.. أصرت "**إيج**" على عدم استبعاد أي شخص؛ لأن الاتهام يمكن أن يحيط بالجميع، وقال السيد "**تشارلز**" :

– في هذه الحالة لن نستبعد "**أوليفر ماندرز**" أيضًا. فقد كان موجوداً في المكانين. ترددت "**إيج**" هنيهة ثم قالت باستسلام:

– حسن.. هكذا ينبغي أن أكتب اسمي واسم أمي.. وهذا يجعل عدد المشتبه في أمرهم سبعة. طلب "**ساترزويت**" بعض كؤوس الشراب؛ ليخفف من حدة التوتر الذي ساد الجلسة، وانتهزت "**إيج**" فرصة انشغال السيد "**تشارلز**" بمشاهدة أحد التماثيل، واقتربت من "**ساترزويت**" قائلة له في همس:

– كان غباء مني أن أفقد أعصابي.. لكن لماذا نستبعد السيدة؟ لماذا كان حريصًا على استبعادها؟ يا إلهي! لماذا أنا غيور إلى هذا الحد؟ ابتسم "**ساترزويت**" وقال لها بهدوء:

– الغيرة لا تفيد يا عزيزتي.. حاولي إخفاء غيرتك.. وبهذه المناسبة هل خطر ببالك أن الشكوك قد تحيط بـ"**ماندرز**"؟

– كلا بالطبع.. كل ما في الأمر أنني أريد ألا يشعر بأنني أطارده، ولكنني لا أريد في الوقت نفسه أن يحس بأنني أميل إلى "**أوليفر**"؛ لأنني لا أميل إليه بالفعل.. وقد عاد الآن إلى سلوك الأطفال وأنا لا أحب ذلك بالمرة.

– أنصحك بالصبر وسوف تنتهي الأمور كما تحبين.

– ولكنني لست صبوراً.. أريد أن أتعجل وقوع الأحداث. ضحك "**ساترزويت**" والتفت السيد "**تشارلز**" نحوه، وعندما استؤنف الحديث قال السيد "**تشارلز**" إنه يرى العودة إلى "**عش الغراب**" مادام لم يعثر على مشترٍ للبيت، على أن تعود "**إيج**" مع أمها إلى بيتهما في وقت أسرع مما كانتا تقدران، وحيث إن السيدة "**بابنجتون**" كانت لاتزال تقيم في "**لوماوث**"، فإنهم يستطيعون مقابلتها للتصرف على ضوء ما يحصلون عليه من معلومات، وقالت "**إيج**":

– سوف ننجح.. أنا أعرف أننا سوف ننجح. مالت بجسمها نحو السيد "**تشارلز**" وفي عينيها بريق أخاذ، ولمست كأسه بكأسها قائلة:

– نخب نجاحنا. رفع السيد "**تشارلز**" كأسه نحو فمه ببطء ثم قال:

– نخب النجاح.. ونخب المستقبل.



الفصل الثالث
الاكتشاف

- 1 -

أقامت السيدة "**بابنجتون**" في كوخ صغير يطل على الشاطئ بعد موت زوجها في انتظار وصول شقيقتها من الخارج حتى تتدبر معها شؤون المستقبل؛ لأن واحداً من أولادها الذين يعملون في الخارج لم يكن على استعداد للعودة والحياة معها. وفوجئت السيدة "**بابنجتون**" وهي تعمل في حديقتها الصغيرة بقدوم السيد "**تشارلز**" و"**إيج ليتون جور**"، ودعتهما إلى غرفة الاستقبال الصغيرة، وسألت السيد "**تشارلز**" عن أسباب عودته بعد أن عرف الجميع أنه غادر المكان إلى غير رجعة، وقال السيد "**تشارلز**" بشرود:

– لم أعثر على مشتر للبيت.. لا يستطيع الإنسان أن يهرب من قدره..

سألها السيد "**تشارلز**" عما إذا كانت أخبار استخراج جثة زوجها من القبر لتحليلها قد بلغتها، وأخبرته: بأنها سمعت الخبر ولم تنزعج؛ لأن روح زوجها ترقد في مكان آخر في سلام، وأبدت دهشتها للشكوك التي بدأت تثار حول موت زوجها بواسطة سم النيكوتين، وقالت إن كل ما تعرفه عن النيكوتين أنه يسبب بعض المضايقات لمدمني التدخين، وسألها السيد "**تشارلز**":

– ألم يتصادف استخدامك لمحلول النيكوتين؟

– كنت أستخدمه في رش النباتات في الحديقة؛ للقضاء على الآفات.. سألها السيد "**تشارلز**" عما إذا كانت تعرف أعداء لزوجها وأبدت دهشتها لذلك قائلة:

– من ذا الذي يفكر في إيذاء "**ستيفن**"؟ أخبرها السيد "**تشارلز**" بأنه كان في الخارج وسمع عن موت صديقه "**بارثلوميو سترينج**" في ظروف مشابهة لموت زوجها، وقالت "**إيج**":

– لقد كنت هناك ورأيت الأعراض نفسها تظهر على وجه الطبيب بعد أن شرب

كأسًا من الشراب، ولم يلبث أن مات بعد ثلاث دقائق.. قال السيد "**تشارلز**":

– سوف يشيع خبر استخراج الجثة من القبر، لهذا نريد أن نقف على ما يمكن من الحقائق قبل أن يفقد القاتل أعصابه.. عندما تقدم "**ستيفن**" لخطبتك هل أساء ذلك إلى شخص كان يفكر في الزواج بك؟ قالت السيدة "**بابنجتون**" ببساطة:

– إن "**ستيفن**" كان يعمل في شبابه مساعداً لأبي، وكان أول شاب يدخل حياتي، وتمت الخطبة والزواج في هدوء وعشنا في سعادة وهناء. تدخلت "**إيج**" في الحديث وسألت السيدة "**بابنجتون**" عما إذا كان زوجها قد رأى واحداً من المدعوين إلى الحفل في وقت سابق، وقالت:

– أنت وأمك و"**أوليفر ماندرز**".. أما بالنسبة إلى الآخرين فلم نر أو نقابل أحدهم من قبل. قال السيد "**تشارلز**":

– يجب أن تغفري لنا هذا الوابل من الأسئلة، لكن إذا كان زوجك قد قتل فلابد لذلك من سبب.. هل تستطيعين أن تعرضي علينا تاريخ حياة زوجك بشيء من التفصيل؟ كانت للسيدة "**بابنجتون**" ذاكرة حادة، قالت:

– ولد "**ستيفن بابنجتون**" عام 1868 في "**ديفون**".. تلقى تعليمه في مدرسة "**سانت بول**" و"**أكسفورد**".. نصب قسا عام 1891 في "**هوكستون**".. وكان راعيًا لأبرشية "**السنجتون**" عام 1894.. تزوج "**مارجريت لويمر**" عام 1899 وعاشا في "**جيلنج**"، ثم نقل إلى كنيسة "**سانت بتروك**" في "**لوماوث**" عام 1916.. قال السيد "**تشارلز**" باهتمام:

– ربما كان ذلك يساعدنا بعض الشيء.. أعتقد أن الفترة التي تثير انتباهنا عندما كان في "**جيلنج**".. سألت السيدة "**بابنجتون**":

– هل تعتقد أن واحداً من الموجودين بالحفل هو؟ قال السيد "**تشارلز**":

– لا أدري بالضبط.. ربما شاهد "**بارثلوميو**" أو استنتج شيئًا خاصًا بأحد الموجودين الخمسة. قاطعته "**إيج**" قائلة:

– إنهم سبعة.

– لابد من أن القاتل واحد من هؤلاء السبعة. قالت السيدة "**بابنجتون**" بمرارة:

– لكن لماذا؟ ما الدافع؟ قال السيد "تشارلز" بحزم:

– هذا ما سوف نكتشفه.. انتهز "ساترزويت" فرصة ذهاب السيد "**تشارلز**" مع "**إيج**" لزيارة "بابنجتون"، وذهب يتناول الشاي مع السيدة "**ماري**" وتطرق الحديث إلى "إيج" وقالت السيدة "ماري":

– ابنتي عنيدة وتركب رأسها عندما تصر على شيء.. لا تعجبني الطريقة التي تجعلها تدس أنفها في هذه المشكلة..

– أنا أفهم وجهة نظرك.. لكن ليس المفروض في فتيات اليوم أن يبقين في البيت للتطريز والحياكة، ولا ينفعلن إزاء الجرائم التي تحدث في هذه الأيام..

– أنا لا أحب الجريمة ولم أتصور قط أن أتعرض لشيء كالذي حدث. كان أمراً فظيعاً.. مسكين السيد "**بارثلوميو**". سألها "**ساترزويت**" بحذر:

– ألم تعرفيه معرفة جيدة؟

– أعتقد أنني لم أره سوى مرتين.. الأولى منذ عام عندما جاء ليقضي عطلة نهاية الأسبوع مع السيد "**تشارلز**"، والثانية في تلك الليلة الفظيعة التي مات فيها السيد "بابنجتون" المنكود الحظ.. أصبت بالدهشة عندما تلقيت تلك الدعوة، ووافقت اعتقاداً مني أن ذلك يسعد "**إيج**"؛ لأنها كانت في حالة نفسية سيئة.. سألها "ساترزويت" عن رأيها في "**أوليفر ماندرز**" وقالت:

– أعتقد أنه شاب ذكي.. كانت ظروف حياته صعبة.. احمر وجهها وقالت:

– لم يكن أبوه متزوجاً بأمه.. وكانت السيدة "**ماندرز**" جدته العجوز تعيش في "**دانبويل**" في بيت كبير بشارع "**بليموث**". كان زوجها يعمل محاميا هناك، ويعمل ابنها في إحدى المؤسسات بالمدينة وحقق ثروة. كانت الابنة جميلة ووقعت في غرام رجل متزوج.. إنني أوجه إليه اللوم الشديد.. ارتبطا بعد سلسلة من الفضائح ولم تقبل زوجته الطلاق منه. وماتت الفتاة بعد ولادة "**أوليفر**" بوقت قصير، وتولى عمه في "**لندن**" أمره، ولم يكن لعمه وزوجته أولاد، وقسم الولد

وقته بينهما وبين جده، وكان يأتي هنا دائمًا في أثناء عطلات آخر العام.. سكتت هنيهة ثم أردفت تقول:

– كنت أشعر نحوه بالأسى ومازال هذا شعوري.. أعتقد أنه مغرور أكثر مما ينبغي. قال "**ساترزويت**":

– هذه ظاهرة مألوفة.. كلما بالغ إنسان في الاعتزاز بنفسه؛ كان وراء ذلك مركب نقص معين.. ويقف مركب النقص هذا وراء العديد من الجرائم بدافع من الرغبة لتأكيد شخصية الإنسان.

تكلم كل واحد منهما بعد ذلك عن حياته الخاصة، وروت السيدة "**ماري**" قصة زواجها، وكيف عاشت حياة تعسة مع زوجها فقد أحبته، وكان سيئ السمعة وقد رفض أبوها الموافقة على زواجها به، ولكنها تخيلت أنها تستطيع إصلاحه، وقالت السيدة "**ماري**":

– كان "**رونالد**" رجلا فاتنا وأثبتت الأيام أن أبي كان على حق.. فقد حطم "**رونالد**" قلبي.. ولا أخفي عليك يا سيد "**ساترزويت**" أنني شعرت بالارتياح عندما أصيب بالتهاب رئوي تسبب في موته.. وليس معنى هذا أنني لم أهتم به.. كنت أحبه حتى النهاية ولكنني لم أعد أعقد الأمل على إصلاحه.. وكانت هناك ابنتي "**إيج**".. دار الحديث بعد ذلك حول "**إيج**"، وقالت السيدة "**ماري**":

– "**إيج**" شديدة الاندفاع وإذا استقر عزمها على رأي اندفعت دون تقدير للعواقب.. وهي تأبى أن تستمع إليّ.

ابتسم "**ساترزويت**" وهو يهمس لنفسه: «ترى هل تدري السيدة "**ماري**" أن اندفاع ابنتها لحل لغز الجريمة إنما هو استمرار للعبة قديمة.. مطاردة الأنثى للذكر؟». وأردفت السيدة "**ماري**" تقول:

– تقول "**إيج**" إن السيد "**بابنجتون**" مات مسمومًا أيضًا.. هل تعتقد أن هذا صحيح يا سيد "**ساترزويت**"؟

– سوف نتحقق من ذلك بعد استخراج الجثة من القبر. وسألها عما إذا كانت

تعرف السيد والسيدة "**بابنجتون**" جيداً، وأخبرته بأن العلاقة بين "**بابنجتون**" وزوجته كانت ممتازة، ولم تواجههما أي متاعب سوى معاناة القس من تصلب الشرايين، وترددت عندما سألها عن علاقة "**أوليفر ماندرز**" بالقس، ثم قالت أخيراً:

– كانت العلاقة بينهما فاترة.. كان "**أوليفر**" يلعب في صغره مع أولاد القس. وكان يفاخر بالأموال التي يحصل عليها والحياة الرغدة التي يعيشها.

– وماذا كان شأنه بعد أن كبر؟

– لم يلتقِ مع أسرة القس كثيراً.. ولكن "**أوليفر**" ارتكب حماقة مع السيد "**بابنجتون**" ذات يوم في منزلي.. وكان ذلك منذ عامين.. روت السيدة "**ماري**" كيف هاجم "**أوليفر**" القس وقال له: لعلك تعتبرني ابنًا للخطيئة.. ثم وجه إليه وإلى الكنيسة السباب وقال: إنه يتمنى لو أنه استطاع أن يحطم جميع الكنائس في العالم، وقال السيد "**بابنجتون**": ورجال الدين أيضًا؟ وقال "**أوليفر**" باندفاع: ورجال الدين..

– وماذا كان رد السيد "**بابنجتون**"؟ ابتسم وقال بهدوء:

– لو أنك خططت لهدم كل الكنائس فإنك تبقى مطالبًا بالتعامل مع الله.. وجم "**أوليفر**" قليلا ثم هدأت أعصابه وعاد إلى حالته الطبيعية.

– هل تحبين هذا الشاب؟

– إنني أشعر نحوه بالأسى.

– ولكنك لا ترغبين في زواجه بـ "**إيج**"؟

– أوه! كلا. عندما سألها عن السبب قالت:

– لأنه ليس رقيقًا.. ولأنه.. عندما سكتت استحثها "**ساترزويت**" على الكلام فقالت:

– لأن فيه شيئًا داخليًا لا أفهمه.. شيء بارد..

– ماذا كان رأي السيد "**بارثلوميو**" فيه؟

– أذكر أنه قال عنه إنه حالة جديرة بالدراسة، وعندما قلت له إن الشاب يتمتع بصحة جيدة قال: نعم.. ولكنه يندفع نحو سقطة كبيرة.. كان طبيبًا ممتازًا يقدره الجميع.

– ألم يقل لك شيئًا عن موت "**بابنجتون**"؟

– كلا..

– هل تعتقدين أن الطبيب كان يفكر في شيء معين؟

– كان يبدو ليلة وفاته مرحًا أكثر من العادة، وأخبرني في أثناء العشاء بأنه يعد لنا مفاجأة ضخمة.

– أوه.. هل فعل ذلك حقًّا؟! ظل "**ساترزويت**" يفكر في ذلك في أثناء عودته إلى المنزل وهو يسأل نفسه: «ترى ما المفاجأة التي كان الطبيب يعدها لضيوفه؟»

انضم "**ساترزويت**" إلى المجلس الذي انعقد في الغرفة المشكلة على شكل كبينة السفينة في بيت السيد "**تشارلز**"، وعندما سأل الممثل ضيفيه عما إذا كانا قد أحرزا تقدمًا، قال "**ساترزويت**": "لا". بينما قالت "**إيج**": "نعم"، قال السيد "**تشارلز**":

– إن من حق السيدة أن تبدأ الحديث. وقالت "**إيج**":

– على الرغم من أننا لم نتوصل إلى شيء مؤكد إلا أننا قمنا بتنمية بعض الأفكار، وهذا يعتبر من وجهة نظري تقدمًا. قال السيد "**تشارلز**":

– تقدم عن طريق الاستبعاد؟ حسن.. وأنت يا "**ساترزويت**"؟ قال "**ساترزويت**":

– استبعدنا فكرة المكسب.. لا أحد يستفيد من موت "**ستيفن بابنجتون**".. كما أن فكرة الانتقام مستبعدة.. هكذا نعود إلى فكرة الخوف.. يحقق شخص ما الأمان لنفسه بالتخلص من "**ستيفن بابنجتون**". قالت "**إيج**":

– المسألة هي ما خطوتنا التالية؟ هل نتنكر ونقتفي آثار المشتبه فيهم؟ قال السيد "**تشارلز**" باستياء:

– يا طفلتي العزيزة.. كنت أعترض دائمًا على دور الرجل ذي اللحية ولن أفعل ذلك الآن. سألته عما ينوي أن يفعله. لكن باب الحجرة فتح وأعلنت الخادمة وصول السيد "**هركيول بوارو**".. دخل "**بوارو**" بوجه باسم يتصفح الوجوه التي علتها الدهشة وقال بمرح:

– هل مسموح بانضمامي إلى المجلس؟ أجابه السيد "**تشارلز**" بقوله:

– إننا سعداء لرؤيتك.. من أين أتيت فجأة؟

– ذهبت لمقابلة صديقي السيد "**ساترزويت**" في "**لندن**"، وقيل لي إنه هنا فأتيت بأول قطار يصل إلى "**لوماوث**". قالت "**إيج**":

– ولماذا أتيت؟ احمر وجهها واستدركت قائلة:

– أعني هل أتيت لغرض معين؟ قال "**بوارو**" بهدوء:

– لقد جئت لأعترف بخطإ ما.. التفت نحو السيد "**تشارلز**" وقال:

– سبق أن قلت يا سيدي في هذه الحجرة نفسها إنك غير مقتنع، وعارضتك لأنني لا أعرف حتى هذه اللحظة كيف تم دس السم لـ"**بابنجتون**" ولا يوجد مبرر مقنع لقتله، ولكن جريمة ثانية وقعت وفي ظروف مشابهة.. لهذا جئت أنا "**هركيول بوارو**" لأعترف بخطئي.. وأنني ظننتك كممثل تحب أن تتحول الأمور إلى مأساة.. لقد جئت لأعتذر وأقر بخطئي راجيًا موافقتك على انضمامي إلى مجلسكم.. تنحنح السيد "**تشارلز**" بعصبية وبدا عليه الارتباك ثم قال:

– هذا لطف منك يا سيد "**بوارو**".. لا أعرف.. أعني أن وقتك. قال "**ساترزويت**":

– كانت لفتة طيبة منك. قال "**بوارو**" بهدوء:

– كلا.. إنه الفضول والإحساس بجرح الكرامة ويجب أن أصلح خطئي.. لكن إذا كنتم لا ترحبون بقدومي.. قاطعه الرجلان في نفس واحد:

– كلا.. كلا بالمرة.. التفت "**بوارو**" نحو الفتاة قائلا:

– والآنسة؟ ظلت "**إيج**" صامتة هنيهة وأدرك "**ساترزويت**" السبب. لقد قبلت

انضمامه على مضض، لكن الأمر بالنسبة إلى السيد "**بوارو**" يختلف وتساءل بينه وبين نفسه. ترى ماذا سيكون رد الفتاة؟ ولكن "**إيج ليتون جور**" قالت الشيء الوحيد الذي تستطيع أن تقوله وعلى فمها شبح ابتسامة باهتة:

– بالطبع تستطيع أن تنضم إلينا.. يسعدنا أن تفعل ذلك..

- 2 -

طلب "**بوارو**" بعد الموافقة على ضمه للمجلس إحاطته علمًا بتفاصيل الموقف. وقام "**ساترزويت**" بهذه المهمة، وقال "**بوارو**" معلقًا على عثور السيد "**تشارلز**" على الخطابات وراء المدفأة:

– عمل عظيم.. الاستنتاج وبناء الخطة.. كان ينبغي لك أن تكون مخبراً خاصًا قديراً بدلا من عملك كممثل عظيم.. كذلك أثنى "**بوارو**" على "**ساترزويت**" قائلا:

– كانت ملاحظتك بشأن دعابة السيد "**بارثلوميو**" مع الخادم ذكية. سأل السيد "**تشارلز**" باهتمام:

– هل ترى شيئًا في فكرة السيدة "**راشبريدجر**"؟

– إنها فكرة، وقد توحي بأشياء عديدة.

تحدث بعد ذلك السيد "**تشارلز**" عن الزيارة التي قام بها مع "**إيج**" للسيدة "**بابنجتون**" ونتائجها السلبية، ثم قال لـ"**بوارو**":

– أنت على علم الآن بكل الحقائق.. ما رأيك؟

سكت "**بوارو**" هنيهة ثم سأل "**إيج**" عما إذا كانت تذكر شكل الكأس التي شرب منها الطبيب الشراب. وتطوع السيد "**تشارلز**" بعرض كأس مماثلة من مجموعته قائلا:

– إن السيد "**بارثلوميو**" أهداها لي؛ لأنه اشترى مجموعة كبيرة من أحد المزادات تفيض عن حاجته. وقلّب "**بوارو**" الكأس بين يديه ثم قال:

– هذا ما تخيلته تمامًا.. وعندما سألته "**إيج**" عن السبب قال:

– يمكن تفسير وفاة السيد "**بارثلوميو**" بسهولة، ولكن موت "**بابنجتون**" أكثر صعوبة، كم تمنيت لو أن الأحداث وقعت بترتيب عكسي! الطبيب مشهور وهو بحكم مهنته يقف على الكثير من أسرار مرضاه.. فلنتصور أن أحد مرضاه على حافة الجنون، وكلمة واحدة من فم الطبيب كفيلة بإبعاده عن العالم.. تصوروا الإغراء الذي يواجه مريضًا كهذا.. وربما كان الطبيب يرتاب في وفاة مفاجئة لواحد من مرضاه.. هكذا ترون دوافع كثيرة لموت الطبيب، ولو أن الطبيب مات أولا، ثم جاء بعده "**ستيفن بابنجتون**"، لكنا نقول إن "**بابنجتون**" رأى شيئًا أو ارتاب في أمر الوفاة. لكن علينا أن نقبل الأمور كما هي ونتصرف على هذا الأساس.. أعتقد أن موت "**بابنجتون**" لم يكن قضاء وقدرًا، أعني أن السم الذي كان يقصد به قتل الطبيب ذهب على سبيل الخطإ إلى "**بابنجتون**"، أي أن "**بابنجتون**" قتل على سبيل الخطإ.. قال السيد "**تشارلز**":

– تفكير ذكي.. ولكنني لا أوافق عليه؛ لأن "**بابنجتون**" جاء إلى هذه الحجرة قبل مرضه بحوالي أربع دقائق، وكل ما دخل فمه لا يزيد عن نصف كأس من الشراب. قاطعه "**بوارو**" قائلا:

– فلنفترض على سبيل الجدل أن شيئًا وضع في الشراب.. هل كان الطبيب هو المقصود؟ هز السيد "**تشارلز**" رأسه قائلا:

– إن "**بارثلوميو**" لم يكن ليشرب ذلك النوع من الشراب قط. أعرب "**بوارو**" عن استيائه؛ لأن ذلك يهدم فكرته من أساسها، وقال السيد "**تشارلز**":

– فضلا على أن الصينية كانت تقدم للمدعوين ليختار كل منهم كأسًا..

سكت "**بوارو**" هنيهة مفكرًا، وسأل السيد "**تشارلز**" عما إذا كانت الخادمة التي فتحت له الباب هي التي كانت تحمل صينية الشراب، وعندما تلقى الرد بالإيجاب طلب مقابلتها ليجري تجربة على الطريقة التي قدمت بها الكؤوس، وأجريت التجربة وتأكد لـ"**بوارو**" استحالة تقديم كأس معينة لشخص معين خصوصًا وأن

"**ساترزويت**" كان أقرب الواقفين من "**بابنجتون**".. سكت "**بوارو**" مستسلمًا لأفكاره وقتًا طويلا وعندما رفع عينيه بدا عابس الوجه وهو يقول:

– لم تكن السيدة "**بابنجتون**" موجودة في بيت الطبيب وهذا يبعد عنها الاتهام.

– من الذي فكر في اتهام السيدة "**بابنجتون**"؟ ابتسم "**بوارو**" وقال:

– أحقًّا؟ لقد خطرت الفكرة ببالي.. إذا لم يكن "**بابنجتون**" مات بفعل السم المدسوس في الشراب، فلابد من أن ذلك تم قبل دقائق من وصوله إلى البيت، وفي هذه الحالة لا يفعل ذلك سوى الزوجة.. صاحت "**إيج**" قائلة بأنفة:

– لقد كانا زوجين مخلصين.. نظر إليها "**بوارو**" باسمًا وقال بهدوء:

– أنت تنظرين إلى الأمور بعواطفك وأنا أنظر إليها دون تحيز.. لا أتعامل إلا مع الحقائق.. ودعيني أيتها الشابة أخبرك من واقع تجاربي الكثيرة بأنني رأيت خمس حالات لزوجات مخلصات لأزواجهن لكنهن ارتكبن جريمة قتل الزوج.. السيدات يستطعن أكثر من غيرهن الاحتفاظ بالمظاهر الخداعة.. قالت "**إيج**" بخشونة:

– أعتقد أنك فظيع.. أعرف أن السيدة "**بابنجتون**" ليست من ذلك الطراز.. هذا فظيع!

– القتل أشد فظاعة يا آنسة.. ومع هذا– ولأنني أتعامل مع الحقائق– أوافق على أن السيدة "**بابنجتون**" لم ترتكب هذه الجريمة؛ لأنها لم تكن في بيت الطبيب، وكما ذكر السيد "**تشارلز**" من قبل يجب أن نوجه الاتهام إلى شخص كان موجودًا في كلتا المناسبتين. واحد من السبعة الذين تتضمنهم القائمة.. خيم الصمت بعض الوقت قبل أن يسأل "**ساترزويت**" عن التحرك التالي. قال السيد "**تشارلز**":

– أرى استخدام طريقة الاستبعاد.. نعتبر كل واحد من المسجلين في القائمة مدانا حتى تثبت براءته، وأن نقتنع بوجود ارتباط بين ذلك الشخص وبين "**بابنجتون**"، وأن نبذل قصارى جهدنا لاكتشاف هذا الارتباط، إذا لم نجد هذا

الارتباط نترك الشخص إلى آخر.. هز "**بوارو**" رأسه قائلا:

– طريقة سيكولوجية سليمة.. وما أسلوبك في العمل؟

– لم نتناقش بعد في هذه النقطة ونرحب بالاستماع إلى رأيك..

– لا تطلب إليّ يا صديقي، خطوة تتطلب الحركة.. أنا أحل قضاياي بالتفكير.. دعوني أعمل بوسيلتي بينما تواصلون البحوث التي يجريها السيد "**تشارلز**" باقتدار. تطلعت "**إيج**" إلى ساعتها وقالت إنه لابد من عودتها إلى المنزل حتى لا تقلق أمها، وعرض عليها السيد "**تشارلز**" أن يصحبها بسيارته وخرجا معًا.. نظر "**بوارو**" إلى الباب وهو يغلق وراءهما ثم قال بشرود:

– هذه الجريمة شديدة الغموض.. إنها تحيرني تماماً.

– أية جريمة الأولى أم الثانية؟

– لا توجد سوى جريمة واحدة– الأولى أو الثانية ما هي إلا نصف الجريمة نفسها.. النصف الثاني سهل.. الدافع والأسلوب الذي اتخذ.

– لم يعثر على أي أثر للسم في أي كأس للشراب وأكل الجميع من الطعام نفسه.

– كلا.. الأمر مختلف تمامًا، في الحالة الأولى لا يبدو كما لو أن أي إنسان كان يستطيع قتل "**بابنجتون**" بالسم، لو أراد السيد "**تشارلز**" ذلك لاستطاع أن يقتل أحد ضيوفه لكن ليس شخصًا بعينه.. كانت الخادمة "**تمبل**" تستطيع أن تدس السم في الكأس الأخيرة المتبقية على الصينية، ولكن "**بابنجتون**" لم يأخذ الكأس الأخيرة.. كلا.. قتل "**بابنجتون**" يبدو مستحيلا لدرجة أنني مازلت أشعر بأنه ربما مات ميتة طبيعية، ولكننا سوف نتحقق من ذلك عاجلا، أما الجريمة الثانية فأمرها مختلف.. كان أي شخص من الضيوف الحاضرين أو الخادم أو الخادمة يمكنه أن يدس السم للطبيب.. لا يمثل ذلك أدنى صعوبة.

– إنني لا أفهم.. قاطعه "**بوارو**" قائلا:

– سوف أثبت لك ذلك بتجربة بسيطة في القريب.. دعنا نستعرض الجانب

الأهم من القضية.. أنت رقيق المشاعر وربما كنت لا تميل إلى أن ألعب دور المفسد للأمور. قال "**ساترزويت**" بابتسام:

– تعني..

– إن السيد "**تشارلز**" يجب أن يلعب دور البطولة.. هذا ما تعوده كما أن شخصًا آخر يريد له أن يلعب هذا الدور.. هل أنا على حق؟ لن يسعد الآنسة أن أصل إلى الحل بنفسي.. وأنا ذو طبيعة حساسة وأرغب في مساعدة حب لا أن أعوقه.. لهذا يجب أن نعمل معًا أنا وأنت من أجل مجد السيد "**تشارلز**".. أليس كذلك؟ وإذا تم حل اللغز.

– إذن؟

– عندها.. أنا لن أسمح لنفسي بالفشل. عندما يتم حل القضية أريد أن ينسب كل الفضل إلى السيد "**تشارلز**"؛ لأنني لا أحتاج إلى مزيد من الشهرة..

– يدفعني الفضول إلى أن أسألك: ما الذي يعود عليك من هذه القضية؟ أهو مجرد الاستمتاع بالمطاردة؟ هز "**بوارو**" رأسه قائلا:

– كلا.. ليس الأمر كذلك.. وإنما السعي وراء الحقيقة.. ليس في الوجود ما هو أجمل من الحقيقة. خيم الصمت بعض الوقت، ثم أخرج "**بوارو**" الورقة التي سجل فيها "**ساترزويت**" الأسماء السبعة وقرأ بصوت مرتفع:

– السيدة "**داكريس**"، النقيب "**داكريس**"، الآنسة "**ويلز**"، الآنسة "**ساتكليف**"، السيدة "**ماري ليتون جور**"، الآنسة "**ليتون جور**"، "**أوليفر ماندرز**". سأل "**بوارو**" بعد ذلك عما إذا كانت الأسماء كتبت وفقًا لترتيب معين، وأجاب "**ساترزويت**" بالنفي، وعقب "**بوارو**" على ذلك بأن العقل الباطن يريد أن يُلقي بالتهمة على السيدة "**داكريس**"، ثم سأل "**ساترزويت**" لماذا لم يذهب مع السيد "**تشارلز**" و"**إيج**" لزيارة السيدة "**بابنجتون**"، أخبره "**ساترزويت**" بأنه لم يشأ أن يثقل على السيدة، وقال "**بوارو**":

– بل لأنك كنت تقصد هدفًا آخر. روى "**ساترزويت**" تفاصيل زيارته للسيدة

"**ماري**"، وكيف أنها حدثته عن حياتها الخاصة وسأل "**بوارو**":

– ألم تتحدثا في موضوع آخر.. أعني عن "**أوليفر ماندرز**"؟ اعترف "**ساترزويت**" بذلك، وأعاد على مسامعه رأي السيدة "**ماري**" في الشاب، وقال "**بوارو**" بخبث:

– ذهبت وأنت تأمل أن تكون السيدة "**داكريس**" أو زوجها القاتل، ولكنك تعتقد في قرارة نفسك أن القاتل هو "**ماندرز**". حاول "**ساترزويت**" الاعتراض ولكن "**بوارو**" استمر في حديثه قائلا:

– نعم.. نعم.. أنت ذو طبيعة متكتمة، لك آراؤك ولكنك تفضل أن تحتفظ بها لنفسك.. أنا أتعاطف معك لأنني أفعل الشيء نفسه..

– أنا لا أشك فيه ولكنني فقط أردت أن أعرف المزيد عنه.

– أنا أيضًا مهتم بهذا الشاب.. كنت مهتمًا به في أثناء العشاء في تلك الليلة لأنني رأيت اثنين على الأقل يمثل كل منهما دوراً: أحدهما السيد "**تشارلز**" الذي يمثل دور الضابط البحري.. وهذا شيء طبيعي لممثل كبير لم يعد يعتلي خشبة المسرح، ولكن الشاب كان يمثل دور الإنسان المنغمس في الملذات والذي يشعر بالملل.. لهذا تنبهت إليه وراقبته.. أنت أيضًا.. كان بالنسبة إليك الحصان الأسود.. وضعت اسمه في آخر القائمة.. والسؤال: من أقل الشخصيات احتمالا لارتكاب الجريمة؟ السيدة "**ماري**" و"**إيج**".. ومع هذا وضعت اسم "**ماندرز**" بعدهما؛ لأنك أردت أن تكتم رأيك. قال "**ساترزويت**" بدهشة:

– هل أنا حقًّا من ذلك الطراز من الناس؟!

– نعم.. أنت ذكي، قوي الملاحظة، وتفضل أن تحتفظ بالنتائج لنفسك.

حاول "**ساترزويت**" أن يقول شيئًا، ولكن دخول السيد "**تشارلز**" قطع كلامه، كان الممثل يتأفف من البرد، وقال:

– والآن.. فلنضع الخطة.. أين قائمة الأسماء؟ وأنت يا سيد "**بوارو**"، ما رأيك بالنسبة إلى تقسيم العمل؟

– نريد أن نعرف رأيك أولا يا سيد "**تشارلز**".

– حسن.. نستطيع أن نقسم هؤلاء الناس.. أولا السيدة "**داكريس**" التي تثير انتباه "**إيج**"، والنقيب "**داكريس**" أنا أعرف بعض أصدقائه من عشاق السباق وأستطيع أن أتولى هذا الجانب.. ثم هناك "**أنجيلا ساتكليف**".. قال "**بوارو**":

– يبدو أنها من اختصاصك أيضًا يا "**كارتر هوايت**"؛ لأنك تعرفها معرفة جيدة.

– لهذا أفضل أن يتولى أمرها غيري حتى لا أتهم بالتحيز.

– تمامًا.. يستطيع "**ساترزويت**" أن يقوم نيابة عنك بهذه المهمة.

– لا تدخل السيدة "**ماري**" و"**إيج**" في الحساب.. ولكن ظهور "**أوليفر ماندرز**" ليلة موت "**تولي**" والحادث الذي وقع له يفترض أن يشمله البحث. قال "**بوارو**" بهدوء:

– سوف يتولى أمره "**ساترزويت**" أيضًا.. ولكنك نسيت اسمًا تضمنته القائمة.. أعني السيدة "**مورييل ويلز**".

– هل فعلت؟ حسن سوف تكون الآنسة "**ويلز**" من نصيبي.. ألديك اقتراحات أخرى يا سيد "**بوارو**"؟

– كلا.. كلا.. سوف يسعدني أن أسمع النتائج التي تتوصلون إليها..

– نقطة أخرى.. لو حصلت على صور للأشخاص يمكن أن نستعين بها عند إجراء تحرياتنا في "**جيلنج**".

– ممتاز.. هناك شيء آخر.. لم يكن صديقك "**بارثلوميو**" يتناول الكوكتيل ولكنه يشرب عصيرًا؟

– نعم.. كان لديه ضعف بالنسبة إلى المشروبات الأخرى.

– يبدو غريبًا لي أنه لم يشعر بطعم غريب في الشراب، على الرغم من أن النيكوتين الخالص يتميز برائحة نفاذة غير محبوبة.

– يجب أن تتذكر أنه من المحتمل عدم وجود النيكوتين في الشراب.. هل تذكر

أن محتويات الكأس تم تحليلها؟

– آه! كان ذلك غباء مني.. ولكن أيًا كانت الطريقة التي استخدم بها النيكوتين فطعمه غير مقبول. قال السيد "**تشارلز**" ببطء:

– لا أدري ما أهمية ذلك.. كان "**تولي**" يعاني خلال فصل الربيع الأخير الإنفلونزا الحادة مما يؤثر في حاستي الشم والتذوق عنده. قال "**بوارو**" مفكرًا:

– آه! نعم.. ربما كان هذا هو السبب.. هذا يبسط الأمور تمامًا.. اتجه السيد "**تشارلز**" نحو النافذة ونظر إلى الخارج وقال:

– لاتزال العاصفة تهب.. سوف أرسل من يحضر حقائبك يا سيد "**بوارو**".. أنت تحتاج إلى سرير مريح.. غادر السيد "**تشارلز**" الغرفة، والتفت "**بوارو**" نحو "**ساترزويت**" قائلا:

– هل تسمح لي باقتراح؟

– نعم.. مال "**بوارو**" بجسمه إلى الأمام مقتربًا من "**ساترزويت**"، وقال بصوت منخفض:

– اسأل صديقك "**ماندرز**" لماذا اختلق حادث الاصطدام بالسور.. أخبره بأن الشرطة ترتاب فيه وانظر ماذا يقول؟

- 3 -

دخلت "**إيج**" معرض أزياء "**أمبروزين**" في ميدان "**بركلي**". واستعرضت ببصرها المكان الذي قام بإعداد ديكوراته مهندس ديكور شاب ذائع الصيت، أقبلت السيدة "**داكريس**" نحوها بفتور، وعندما عرفت أن الشابة جاءت تطلب مجموعة من الثياب افتر ثغرها عن ابتسامة شاحبة، وعرضت مجموعة من الفساتين الفاخرة وهي لا تدري أن ميزانية "**إيج**" لا تتجاوز خمسة عشر جنيهًا وبضعة شلنات، وعندما اطمأنت السيدة "**داكريس**" إلى زبونتها الشابة انتهزت "**إيج**" الفرصة وقالت:

- أعتقد أنك لم تذهبي إلى "**عش الغراب**" منذ تلك الليلة.
- كلا.. لا أحب الأماكن التي يرتادها الفنانون.
- كانت ليلة فظيعة.. كان السيد "**بابنجتون**" العجوز كالقط الأليف. ألم يسبق لك رؤيته من قبل؟
- لا أتذكر.
- يخيل إليّ أنني سمعته يقول إنه قابلك في مكان يسمى "**جيلنج**"..
- أقال هذا؟

التفتت السيدة "**داكريس**" نحو زبونة أمريكية وتركت "**إيج**" مع واحدة من العاملات، وبقيت "**إيج**" هنيهة قصيرة وقالت للعاملة: إنها سوف تفكر وتعود عندما يستقر رأيها.. عندما وصلت إلى شارع "**بيرتون**" تطلعت إلى ساعتها وكانت الواحدة إلا الثلث، لقد كان وقت تنفيذ الخطوة التالية.. تجاوزت ميدان "**بركلي**" ثم عادت إليه في تمام الواحدة وتشاغلت بمشاهدة الفترينات، وعندما لمحت الآنسة "**دوريس سيمس**" تخرج إلى الميدان اقتربت منها قائلة:

- معذرة.. هل أستطيع أن أتحدث إليك قليلا؟ عندما رمقتها الفتاة بدهشة قالت لها "**إيج**":
- ألست واحدة من عارضات الأزياء بمحل "أمبروزين"؟ لاحظت أنك صاحبة أبدع قوام في أثناء زيارتي للمحل هذا الصباح.. ابتسمت "**دوريس**" مسرورة بالإطراء، وعرضت عليها "**إيج**" تناول الغداء في أحد المطاعم الفاخرة، ورحبت "**دوريس**" وعندما استقرتا على إحدى الموائد قالت "**إيج**" إنها تعمل صحفية وتكتب بعض الموضوعات عن المهن المختلفة للسيدات، وقد اختارت أن تكتب في هذه المرة عن عارضات الأزياء.. أخرجت "**إيج**" من حقيبتها نوتة صغيرة أخذت تسجل فيها المعلومات التي تدلي بها الفتاة عن مواعيد العمل والأجور ومحاسن المهنة ومتاعبها، ثم مالت نحو "**دوريس**" قائلة:
- سوف أفضي إليك بسر.. عندما زرت معرضكم هذا الصباح لم يكن في نيتي

الشراء؛ لأن كل ما أملكه بضعة جنيهات.. أظن السيدة "**داكريس**" تثور غضبًا لو عرفت هذه الحقيقة. ضحكت "**دوريس**" قائلة:

– لا شك في أن ثورتها تكون عارمة..

– كنت أفكر دائمًا في أن السيدة "**داكريس**" تبدو كالقطة المتوحشة.. ما رأيك أنت؟

– لا تحبها عاملة واحدة في المعرض يا آنسة "**ليتون جور**"، وهذه حقيقة.. إنها حادة الطباع، شديدة الصرامة ولكنها تعرف عملها جيداً.. وهي ذكية تعرف كيف تختار الثوب المناسب لكل زبونة وتجعلها تدفع الأثمان الباهظة راضية النفس..

– أعتقد أنها تربح الكثير؟ هزت "**دوريس**" رأسها وأخبرت "**إيج**" بأن السيدة "**داكريس**" تقترض من أحد الأثرياء اليهود؛ كي تستطيع مواصلة العمل إلى أن تتحسن الظروف، ورجحت أن السيدة "**داكريس**" لا تنام الليل، ورداً على سؤال عن النقيب "**داكريس**" قالت:

– إنه رجل غريب الأطوار.. نحن لا نراه كثيراً ولكن السيدة "**داكريس**" مولعة به على الرغم من كل عيوبه.. وعلى الرغم من هذا. ثم قالت "**دوريس**" بصوت منخفض:

– سرت بعض الشائعات حول علاقة السيدة بشاب واسع الثراء في الفترة الأخيرة. وقيل إن الحالة المالية للمعرض كانت في سبيلها إلى التحسن لولا أن الشاب تلقى أمراً بالسفر في رحلة بحرية إلى الخارج.. حدث ذلك فجأة.

– من الذي أصدر إليه الأمر؟ طبيب؟

– نعم.. أحد أطباء شارع "**هارلي**"..

– السيد "**بارثلوميو سترينج**"؟

– أعتقد أن هذا هو اسمه.. كانت السيدة بين المدعوين إلى الحفل في بيت الطبيب، وكنا نضحك فيما بيننا ونقول إنها ربما قتلته انتقامًا لما حدث.. أنت

تعرفين أن ذلك كان على سبيل المزاح لا أكثر..

– أعرف.. وإن كنت أرى أن السيدة "**داكريس**" متحجرة القلب، ويمكن أن تكون قاتلة..

– إنها ذات طباع حادة بالفعل، وعندما تثور ثائرتها لا أحد منا يستطيع الاقتراب منها.. ويقال إن زوجها يخشاها ولا غرابة في ذلك..

– ألم تسمعيها تتحدث عن شخص يدعى "**بابنجتون**" أو مكان في "**كنت**" يسمى "**جيلنج**"؟

– لا أذكر أنني سمعتها تتحدث عن شيء كهذا.. نظرت "**دوريس**" إلى ساعتها واستأذنت حتى لا تتأخر متمنية لـ"**إيج**" النجاح في سلسلة مقالاتها، وضحكت "**إيج**" بينها وبين نفسها وهي تعرف أن الفتاة سوف تنتظر طويلا حتى تقرأ المقال، وبعد انصراف "**دوريس**" سجلت "**إيج**" في مفكرتها:

"**سينثيا داكريس**" تواجه أزمات مالية.. يقال عنها إنها حادة الطباع.. صدرت الأوامر إلى شاب ثري أشيع أنها على علاقة به بالسفر إلى الخارج، أصدر الأمر الدكتور "**بارثلوميو سترينج**".. لم تظهر أي ردة فعل عند ذكر "**جيلنج**" أو عند سؤالها عما إذا كانت تعرف "**بابنجتون**" من قبل.. همست "**إيج**" لنفسها: «لا يبدو أنني أحرزت تقدمًا يذكر، سوى وجود دافع لقتل الطبيب وهو دافع هزيل، أنا لا أستطيع أن أستخلص شيئًا من هذا.. ربما كان السيد "**بوارو**" يستطيع».. لم تكن "**إيج**" قد انتهت من برنامج اليوم، وكانت حركتها التالية نحو بيت "**سانت جونز**" حيث يستأجر النقيب "**داكريس**" مسكنًا في تلك البناية الفاخرة، لم تدخل "**إيج**" المبنى وإنما ظلت تذرع الشارع جيئة وذهابًا حتى لمحت النقيب "**داكريس**" يهبط من إحدى سيارات الأجرة، وانتظرت بضع دقائق قبل أن تدخل المبنى وتدق جرس الباب، فتح لها النقيب بنفسه وكان لايزال يخلع معطفه، وقالت:

– كيف حالك يا سيدي.. هل تذكرني؟ سبق أن تقابلنا في "**كورنوول**" ثم مرة

ثانية في "**يوركشاير**".

– آه بالطبع! حيث حدثت وفاة في المرتين.. تفضلي بالدخول يا آنسة "**ليتون جور**".. أخبرته بأنها جاءت لتقابل زوجته، وأجابها بأنها لاتزال في معرض الأزياء، وهمس "**داكريس**" لنفسه وهو يتأملها: « فتاة حسنة المظهر.. رائعة الجمال بحق». ثم قال بصوت مرتفع:

– لن تعود "**سينثيا**" قبل السادسة.. ثم عرض عليها الذهاب إلى النادي ليتناولا معًا كأسًا من الشراب وقبلت "**إيج**" الدعوة، وعندما جلسا تطلعت "**إيج**" حولها مبهورة بفخامة المكان، وابتسم "**فريدي داكريس**" بزهو.. كان يحب الشابات الحسان، وقال "**داكريس**":

– كان ما حدث مزعجًا.. أعني ما حدث في "**يوركشاير**" أن يموت طبيب مقتولا بالسم.. المفروض أن الطبيب هو الذي يقتل الناس بالسم.. ضحك النقيب مسرورًا بدعابته، وقالت "**إيج**":

– أليس غريبًا أن تكون مقابلتنا دائمًا في مناسبة تحدث فيها وفاة؟

– تعنين موت رجل الدين العجوز؟

– نعم.. كانت طريقة موته المفاجئ غريبة..

– هل ترتجفين اعتقاداً منك أن الدور التالي عليّ؟

– ألم تعرف السيد "**بابنجتون**" قبل ذلك في "**جيلنج**"؟

– لا أعرف المكان، ولم أر "**بابنجتون**" من قبل. الغريب أنه مات بالطريقة نفسها التي مات بها "**سترينج**" العجوز.. هل تعتقدين أنه مات مقتولا أيضًا؟

– ما رأيك أنت؟

– لا أظن.. لا أحد يقتل رجال الدين.. أما الأمر فيختلف بالنسبة إلى الأطباء.. يتدخلون كالشياطين في حياة الناس.. لا يتركون الناس وشأنهم.. هل تفهمين وجهة نظري؟

– لست أفهم ما تعنيه على وجه التحديد

– يا فتاتي العزيزة، إنهم قساة القلوب.. يحكمون على الناس بالعزلة عن العالم، ويمنعون عنهم ما يحبون من الطعام، يعذبون الناس ولا يهمهم شيء.. ظهر الألم على وجهه ثم أردف يقول بمرارة:

– هذا هو شأن الأطباء ويسمون ذلك علاجًا.. ويزعمون أنهم يحسنون صنعًا وهم أوغاد. قالت "**إيج**" بحذر:

– هل أراد السيد "**بارثلوميو سترينج**" أن...

– السيد "**بارثلوميو سترينج**".. أريد أن أعرف ما يجري وراء أسوار تلك المصحة.. علاج الأعصاب.. هذا ما يقولونه ويدعون أن المرضى أتوا بإرادتهم. كان جسده يرتجف الآن وقال فجأة بصوت منكسر:

– لقد انشطرت إلى أجزاء عديدة.. تحطمت! اعتذر لها وطلب إلى الساقي أن يحضر كأسًا أخرى من الشراب. بينما رفضت "**إيج**" كأسًا أخرى، وقال النقيب "**داكريس**":

– أنا أحسن حالا الآن.. أمر سيئ أن يفقد الإنسان أعصابه.. يجب ألا أغضب "**سينثيا**"، طلبت مني عدم الكلام.. لا ينبغي إخبار الشرطة بكل هذا فقد يظنون أنني قتلت ذلك الطبيب العجوز. ألا تدركين أن أحدهم فعل ذلك؟ واحد من بيننا.. ترى من هو؟ هذا هو السؤال.

– ربما كنت تعرفه!

– ماذا تقولين؟ من أين لي أن أعرف؟ نظر إليها بغضب وارتياب ثم قال:

– لا أعرف شيئًا.. وأؤكد لك أنني لم أكن مستعدًا لقبول علاجه مهما كانت الحجج التي تتذرع بها "**سينثيا**".. لم أكن مستعدًا لقبول علاجه.. كان يسعى إلى تحقيق هدف معين.. كانا يريدان معًا الوصول إلى غرض معين، ولكنهما لم ينجحا في خداعي.. تماسك "**داكريس**" وقال بحزم:

– أنا رجل قوي يا آنسة "**ليتون جور**"..

– أنا واثقة بذلك.. ولكن قل لي.. هل تعرف شيئًا عن سيدة تدعى السيدة

"**راشبريدجر**" تنزل بالمصحة؟

– "**راشبريدجر**"؟ "**راشبريدجر**"؟ سمعت "**سترينج**" العجوز يتحدث عنها.. ما مرضها.. لا أتذكر شيئًا. لقد بدأت ذاكرتي تضعف.. هذه هي حالتي ولديّ أعداء.. أعداء كثيرون.. ربما كانوا يتجسسون عليّ في هذه اللحظة.. تطلع حوله بقلق ثم مال بجسمه إلى الأمام قائلا:

– ما الذي كانت تفعله تلك السيدة في غرفتي ذلك اليوم؟

– أية سيدة؟

– تلك السيدة ذات الوجه الشبيه بالأرنب.. التي تكتب المسرحيات.. كنت عائداً بعد الإفطار ورأيتها تتسلل خارجة من غرفتي.. ماذا كانت تريد، وعن أي شيء تبحث؟ أم لعلك تظنين أن ما قالته "**سينثيا**" صحيح؟

– ماذا قالت السيدة "**داكريس**"؟

– تقول إنني أتخيل الأشياء.. قد أتخيل رؤية فار أو ثعبان لكن رؤية سيدة أمر مختلف.. لقد رأيتها بالفعل.. إنها سيدة شاذة تنفذ نظراتها إلى أعماقك. تراجع النقيب بجسمه إلى الوراء، وبدا عليه أنه على وشك الاستسلام للنوم، ونهضت "**إيج**" قائلة إنها ذاهبة وشكرته وهو يقول بصوت نائم:

– لا تشكريني. لقد سعدت.. سعدت للغاية.

غادرت القاعة إلى هواء الليل البارد في الخارج.. لقد قالت "**بياتريس**" إن الآنسة "**ويلز**" تتلصص وتتجسس، وها هي ذي تسمع تلك القصة من "**فريدي داكريس**".. عم كانت الآنسة "**ويلز**" تبحث؟ ما الذي عثرت عليه؟ هل من المحتمل أن تكون قد توصلت إلى شيء؟

هل هناك شيء من الحقيقة بالنسبة إلى تلك القصة التي سمعتها عن السيد "**بارثلوميو سترينج**"؟ هل كان "**فريدي داكريس**" في قرارة نفسه يخشى الطبيب ويكرهه؟ بدت الفكرة محتملة، لكن لا شيء يشير إلى اتصاله بما حدث لـ"**بابنجتون**". وهمست "**إيج**" لنفسها: «كم يكون غريبًا لو اتضح أن القس لم

يقتل». استرعت عناوين الصحف انتباهها واشترت صحيفة يقول المانشيت استخراج جثة جريمة الكورنيش من القبر.. النتيجة» اصطدمت "**إيج**" بسيدة أخرى تقرأ نسخة من الصحيفة وعندما همت بالاعتذار لها اكتشفت أنها الآنسة "**ميلراي**" سكرتيرة السيد "**تشارلز**" ووقفتا جنبًا إلى جنب تطالعان الخبر الذي يؤكد العثور على النيكوتين عند التحليل، وقالت:

– إذن فقد مات مقتولا. وقالت الآنسة "**ميلراي**":

– هذا فظيع.. فظيع.. إنني في أشد الألم.. فقد عرفته منذ نعومة أظفاري.

– تعنين السيد "**بابنجتون**"؟

– نعم.. تعيش أمي في "**جيلنج**" حيث قضى وقتًا من عمره.. إنني لا أدري في الواقع ماذا أفعل. تضرج وجهها بحمرة الخجل أمام نظرات "**إيج**" المندهشة وقالت بسرعة:

– أحب أن أكتب للسيدة "**بابنجتون**".. لكن يبدو أن الوقت غير مناسب.. على أية حال، بدا ذلك التفسير لـ"**إيج**" غير مقنع..

- 4 -

قالت الآنسة "**ساتكليف**":

– والآن أريد أن أعرف هل أنت صديق أم شرطي سري؟ نظر السيد "**ساترزويت**" بابتسام إلى القدمين الجميلتين وتأمل الحسن اللافت للنظر الماثل أمامه، وأردفت الآنسة "**ساتكليف**" تقول:

– هل جئت تتأمل جمال عينيّ أم لتمطرني بوابل من الأسئلة عن الجرائم؟ وقالت الممثلة باسمة:

– لا أدري ما إذا كان إطراء أو إهانة، اعتبارك لي قاتلة.. على أية حال أعتبر ذلك إطراء.. همس "**ساترزويت**" لنفسه: «مخلوقة ساحرة». وقال بصوت مرتفع:

– أعترف لك يا سيدتي العزيزة ،بأن موت السيد "**بارثلوميو**" أثار اهتمامي،

ولي بعض التجارب السابقة في مثل هذه الأمور.

– أخبرني أولا.. هل قالت الفتاة شيئًا له قيمة؟

– أية فتاة وماذا قالت؟

– تلك التي تدعى "**ليتون جور**".. تلك المفتونة بـ"**تشارلز**".. إنها تعتقد أن الرجل العجوز في "**كورنوول**" مات قتيلا هو الآخر.

– وما رأيك أنت؟

– أعتقد أن الأمر كذلك.. إنها فتاة ذكية.... أخبرني هل "**تشارلز**" جاد؟

– أعتقد أن رأيك في مثل هذه الأمور يكون أفضل من رأيي.

– يا لك من رجل حذر متعب! إنني أعرف "**تشارلز**" جيداً وأعرف الرجال خير معرفة.. يبدو لي أنه قرر الاستقرار، وتكوين أسرة.. كم يبدو الرجال أغبياء عندما يفكرون في الاستقرار! إنهم يفتقدون سحرهم.

– إنني دهش لماذا لم يتزوج السيد "**تشارلز**"؟

– يا عزيزي.. لم يبد أي رغبة في الزواج.. ليس من الطراز الذي يحب الزواج.. ولكنه كان رجلا جذابًا.. الجميع يعرفون أنه جرت علاقة بيني وبينه.. كانت فترة ممتعة ولكنها لم تستمر.. ومازلنا حتى هذه اللحظة أصدقاء..وهذا سبب النظرة الشرسة التي تنظر بها "**إيج**" إليّ.. لاتزال ترتاب في ميلي نحو "**تشارلز**".

– أعتقد أنك على حق بالنسبة إلى مشاعر الفتاة نحوك.

– لا أنكر أنني أغار منها بعض الشيء.. نحن معشر النساء كالقطط تخمش.. ناو.. ناو.. ضحكت بجذل وقالت:

– لماذا لم يأت "**تشارلز**" بنفسه ليسألني عن هذا الموضوع؟ وربما كان يظن أنني مذنبة.. هل أنا مذنبة يا سيد "**ساترزويت**"؟ وقفت ومدت يدها قائلة:

– إن كل العطور العربية لا يمكن أن تعطر هذه اليد الصغيرة، وإنني لست السيدة "**ماكبث**".. قال "**ساترزويت**":

– يبدو أنه لا يوجد دافع..

– هذا صحيح.. كنت أميل نحو "**بارثلوميو سترينج**"، كنا أصدقاء، ولم يكن لديَّ سبب للتخلص منه ويهمني بحكم صداقتي له أن أسهم في مطاردة المجرم.. هل أستطيع أن أساعد؟

– ألم تسمعي أو تري ما يمكن أن يلقي الضوء على القضية؟

– ليس عندي أكثر مما قلته للشرطة.

– وما رأيك في الخادم؟

– لم أشعر به تقريبًا.

– أي سلوك من جانب أحد الضيوف؟

– كلا.. ولكن ذلك الشاب "**ماندرز**".. كان ظهوره مفاجأة.

– هل أدهش ظهوره السيد "**بارثلوميو**" أيضًا؟

– نعم.. أخبرني قبل العشاء مباشرة أن ظهوره كان مستغربًا..

– هل كان السيد "**بارثلوميو**" في حالة نفسية طيبة؟

– كان في أحسن حالاته.

– وماذا بشأن الممر السري الذي حدثت الشرطة عنه؟

– أعتقد أنه يؤدي إلى المكتبة.. وعدني السيد "**بارثلوميو**" بأن يطلعني عليه ولكن المسكين مات..

– ألم يتحدث عن إحدى مريضاته.. السيدة "**راشبريدجر**"؟

– كلا..

– هل تعرفين مكانًا في "**كنت**" يسمى "**جيلنج**"؟

– "**جيلنج**"؟ كلا.. لكن لماذا؟

– حسن.. هل كنت تعرفين السيد "**بابنجتون**" من قبل؟

– من هو السيد "**بابنجتون**"؟

– الرجل الذي مات أو قتل في "**عش الغراب**".

– أوه! رجل الدين.. كلا لم أره في حياتي من قبل.. أمام هذا التصريح الأخير

لم يجد "**ساترزويت**" بدا من الانصراف.

جال السيد "**تشارلز**" ببصره في الحجرة انتظاراً لدخول الآنسة "**ويلز**"، ووجد المكان غير لائق بالكاتبة المسرحية، وبينما كان يتأمل تمثالا صغيراً فوجئ بدخول الآنسة "**ويلز**" دون أن يسمع وقع أقدامها، ورحبت به الكاتبة المسرحية، وأخذت تحدثه عن مسرحيتها القادمة التي كتبتها للآنسة "**ساتكليف**" التي جاءت في زيارة في اليوم السابق، وقال السيد "**تشارلز**":

– هل تستطيعين أن تخمني سبب زيارتي؟ قالت الآنسة "**ويلز**" بخبث:

– لا أظن أنك أتيت لمجرد رؤية شخصي الضعيف. قارن السيد "**تشارلز**" في ذهنه بين الآنسة "**ويلز**" في كتابتها وفي حديثها، كانت في كتابتها ساخرة، وفي حديثها ماكرة وقال السيد "**تشارلز**":

– كان "**ساترزويت**" في الواقع هو الذي أدخل الفكرة في رأسي.. يتخيل نفسه حكمًا قادراً على فهم الشخصيات.

– إنه بالغ الذكاء يفهم الناس فهما جيداً.. أستطيع أن أقول إنها هوايته.

– ومن رأيه لو أن شيئًا حدث في تلك الليلة جدير بالملاحظة فلابد من أنك تنبهت إليه.

– يجب أن أعترف بأنني لم أر في حياتي قط جريمة ترتكب، وعلى الكاتب المسرحي أن يستمد موضوعاته من واقع الحياة.. لهذا فقد حاولت أن ألاحظ كل ما يجري من حولي. وعندما سألها عما إذا كانت قد توصلت إلى شيء، أجابت بأنها لو اكتشفت شيئًا لأخطرت الشرطة به، وعندما كرر السيد "**تشارلز**" سؤاله قالت:

– لم ألاحظ شيئًا له قيمة.. مجرد تصرفات غريبة لبعض الأشخاص.. قال السيد "**تشارلز**" باسمًا:

– أرى أن قلمك أشد حدة من لسانك..

– أعتقد أنك فظيع يا سيد "**تشارلز**"..

– أفهم يا آنسة "**ويلز**"، أنك لم تتوصلي إلى شيء قاطع؟

– كلا.. ليس تمامًا.. على الأقل لاحظت شيئًا كان ينبغي أن أخبر الشرطة به ولكنني نسيت.

– وما هذا الشيء؟

– الخادم.. كانت لديه شامة على معصمه الأيسر.. لاحظتها عندما كان يقدم لي الطعام.. وربما كانت لهذه الملاحظة بعض الفائدة.

– إنها مفيدة حقًّا خصوصًا أن رجال الشرطة يواصلون البحث عن "**إيليس**". أنت قوية الملاحظة يا آنسة "**ويلز**".. لم يلاحظ واحد من الضيوف أو الخدم هذه الملاحظة.

– معظم الناس لا يحسنون استخدام حاسة البصر.

– كيف كان شكل العلامة وما حجمها؟

– لو أنك مددت لي يدك لأريتك.. شكرًا لك.. كانت هنا وكانت في حجم قطعة النقود من فئة الستة بنسات ويشبه شكلها قارة "**أستراليا**". سحب السيد "**تشارلز**" يده وسألته الآنسة "**ويلز**" عما إذا كان ينبغي لها أن تخطر الشرطة، وحبذ الفكرة ثم قال:

– المشكلة أن معظم الناس غير واضحي الشخصية.. "**بابنجتون**" على سبيل المثال كان شخصية غامضة لا يستطيع الإنسان أن يحدد معالمها. قالت الآنسة "**ويلز**":

– كانت يداه متميزتين.. ما أسميه يدي المعلم.. أصابع دقيقة، وأظافر جميلة..

– أنت قوية الملاحظة بشكل مثير.. ولكن.. ولكنك كنت تعرفين "**بابنجتون**" من قبل.. أذكر أنه قال لي ذلك..

– كلا.. أنت تخلط بيني وبين شخصية أخرى.. إنني لم أقابل "**بابنجتون**" من قبل..

– ربما أكون قد أخطأت.. كنت أعتقد أنكما تقابلتما في "**جيلنج**".

تفرس في وجهها مليًّا فوجدها متماسكة تمامًا، وأكدت له أنها لم تر "**بابنجتون**"

في أي مكان من قبل، وتابع السيد "**تشارلز**" حديثه قائلا :

– هل تدركين يا آنسة "**ويلز**"، أنه ربما مات مقتولا هو الآخر؟

– أعرف أن هذا هو رأيك ورأي الآنسة "**ليتون جور**"..

– أوه! وما رأيك أنت؟

– لا أرى ذلك محتملا..

وعندما سألها عما إذا كانت قد سمعت الطبيب يتحدث عن سيدة تدعى السيدة "**راشبريدجر**" أجابت بالنفي، وقال السيد "**تشارلز**" :

– إنها واحدة من مرضاه في المصحة تعاني انهياراً عصبيًّا، وفقدانًا للذاكرة.

– أذكر أنه تحدث عن حالة لفقدان الذاكرة وقال: إنه من الممكن إعادة الذاكرة عن طريق التنويم المغناطيسي.

– أليس لديك شيء آخر يمكن أن تقوليه عن أي واحد من الضيوف؟

خيل إلى السيد "**تشارلز**" أنها ترددت قليلا قبل أن تجيب بالنفي، ولكنه كرر السؤال وسألها عما إذا كانت قد لاحظت شيئًا بالنسبة إلى السيدة "**داكريس**"، أو الآنسة "**ساتكليف**" أو "**ماندرز**"، وكررت إجابتها بالنفي وقال السيد "**تشارلز**" :

– سوف يشعر "**ساترزويت**" بخيبة الأمل. نهض معتذراً لأنه ربما عطلها عن كتابة مسرحيتها الجديدة التي قالت إنها تدور حول فكرة التشهير، وقال السيد "**تشارلز**" باسمًا:

– هذا يؤكد فكرتي عن أنك سيدة قاسية.. وأجابته بدورها باسمة:

– لا تخش شيئًا يا سيد "**تشارلز**".. لا تقسو السيدات على الرجال، وإنما تنصب قسوتهن على بنات جنسهن.

– تعنين أنك تستخدمين سكينك الحاد في تحليل إحدى السيدات منكودات الحظ.. ترى أي واحدة منهن؟ ربما كانت "**سينثيا**" لأنها غير محبوبة من بنات جنسها. لم تعلق الآنسة "**ويلز**" على ذلك بشيء وظلت تبتسم، وسألها السيد "**تشارلز**" :

– هل تكتبين بنفسك أم تملين على أحد؟

– أوه! أكتب بنفسي وأرسل النص ليكتب على الآلة الكاتبة.

– ينبغي أن تتخذي لك سكرتيرة.

– ربما.. أما زالت لديك الآنسة "**ميلراي**" تلك السكرتيرة الذكية؟

– نعم.. أخذت إجازة قصيرة لتزور أمها المريضة في الريف، ولكنها سوف تعود بعد قليل.. إنها سكرتيرة ممتازة. أستأذنك الآن في الانصراف.. ولا تنسي أن تخطري الشرطة عن تلك العلامة المميزة على معصم الخادم.

– تعني الشامة على المعصم الأيمن؟ كلا لن أنسى..

– هل قلت المعصم الأيمن؟ ولكنك ذكرت أنك شاهدتها منذ قليل على معصمه الأيسر..

– هل فعلت ذلك.. كم أنا غبية.

– حسن.. على أي معصم كانت؟

– دعني أتذكر.. كنت جالسة هكذا وهو، هل تسمح يا سيد "**تشارلز**" بأن تناولني الطبق المعدني.. آه! الجانب الأيسر.. أنا متأكدة الآن.. كان كما قلت أولا.. في الجانب الأيسر. استأذن السيد "**تشارلز**" للمرة الثالثة، وبينما كان يغلق الباب وراءه لم تنظر الآنسة "**ويلز**" إليه، كانت لاتزال واقفة حيث تركها وهي تحملق إلى نيران المدفأة، وعلى شفتيها ابتسامة ماكرة. ارتجف السيد "**تشارلز**" وهو يهمس لنفسه: «هذه السيدة تعرف شيئًا.. أقسم أنها تعرف شيئًا ولكنها لا تريد أن تتكلم.. لكن ما الذي تعرفه بحق السماء؟!».

- 5 -

ذهب "**ساترزويت**" إلى المكتب الذي يعمل فيه "**أوليفر ماندرز**"، واستقبله الشاب في مكتبه الصغير مرحبًا، وقال "**ساترزويت**":

– هل قرأت صحف الصباح؟

– تعني أخبار الموقف الاقتصادي؟ حسن.. الدولار.

– أعني نتيجة تحليل الجثة التي استخرجت من القبر.. مات "**بابنجتون**" مسمومًا بالنيكوتين.

– أوه.. أهذا ما تعنيه؟! أعتقد أن "**إيج**" سعيدة؛ لأن ظنها تحقق.. ولكن الجريمة بعد كل شيء عنيفة وغير فنية. قال "**ساترزويت**":

– إن "**ماندرز**" لو ارتكب الجريمة فإنه يفعل ذلك بطريقة فنية، وقال "**ماندرز**" بجفاف:

– لطيف منك أن تقول هذا..

– بصراحة أنا أشك في الحادث الذي دبرته، وقد فهمت أن هذا هو رأي الشرطة أيضًا. سقط القلم من يد "**ماندرز**" على الأرض، وتابع "**ساترزويت**" حديثه قائلا:

– كان تصرفك في "**ميلفورد آبي**" غير فني.. ويهمني أن أستمع إلى تفسيرك. خيم الصمت هنيهة وسأل الشاب:

– تقول إن الشرطة تشك في الأمر؟ أومأ "**ساترزويت**" برأسه، وتابع الشاب بارتباك:

– لقد جئت إلى هناك– بالطريقة التي فعلتها– بناء على اقتراح السيد "**بارثلوميو**" نفسه.. قد يبدو ذلك غريبًا ولكن هذا ما حدث.. تلقيت خطابًا منه يطلب إليّ أن أفتعل حادثًا لأحضر الحفل الذي يقيمه، وأخبرني بأنه لا يستطيع أن يذكر الأسباب في خطابه، ولكنه سوف يشرح لي الأمر في أول فرصة.. والذي حدث أنني وصلت قبل العشاء مباشرة ولم تسنح لي فرصة الانفراد به حتى وفاته.. سأله "**ساترزويت**" عما إذا كان يحتفظ بالخطاب وأجاب الشاب أنه مزق الرسالة بعد قراءتها، وقال "**ساترزويت**" ببرود:

– ومع هذا لم تذكر ذلك للشرطة؟ هز "**ساترزويت**" رأسه والشاب يتأمله ليرى ما إذا كان قد صدق القصة، وقال "**ساترزويت**" أخيراً:

– قصة غير عادية لا يتقبلها العقل.

– أنا معك.. ولكن الفضول دفعني إلى تنفيذ ما طلب إليّ. سأله "**ساترزويت**" عما إذا كانت لديه أخبار أخرى، وقال الشاب:

– أعتقد أنها تلك المرأة التي لم تستطع أن تحبس لسانها. وعندما سأله عمن تكون السيدة قال إنها "**أنتوني أستور**"، وإنه كان يتحدث إليها عندما سقطت مفكرته من جيبه، ووقعت منها قصاصة من إحدى الصحف، وانحنت "**أنتوني**" لتلتقطها وتعيدها إليه، ولكنها كانت قد قرأت الخبر المنشور في القصاصة، ويتعلق الخبر بالمفعول القاتل للنيكوتين، وسأله "**ساترزويت**" عن الدافع لاهتمامه بذلك السم، وأجاب الشاب أنه لم يكن مهتمًّا بذلك الموضوع، ولا يذكر متى قطع تلك القصاصة ووضعها في المفكرة، وختم الشاب حديثه قائلا:

– لا شك في أنها هي التي نقلت الخبر إلى الشرطة. هز "**ساترزويت**" رأسه علامة النفي، وقال "**ماندرز**" فجأة:

– أنا بريء يا سيدي.. أنا بريء من هذه التهمة.

– أنا لم أقل إنك مذنب.

– لماذا جئت لمقابلتي إذن؟

– جزئيًّا بسبب ما توصلت إليه في أبحاثي.. ومن الناحية الأخرى بناء على اقتراح صديق.. عندما سأله الشاب عمن يكون ذلك الصديق وأخبره "**ساترزويت**" بأنه السيد "**بوارو**". صاح "**ماندرز**" بقلق:

– لماذا عاد؟ وقف "**ساترزويت**" وهو يقول له بهدوء:

– لماذا يطارد الكلب الفريسة؟ وغادر الغرفة راضيًا..



أعربت "**إيج**" في الاجتماع الذي عقده "**بوارو**" في الجناح الذي ينزل فيه بفندق "**ريتر**" عن خيبة الأمل لعدم إحراز تقدم، وقال "**بوارو**": إنه على العكس يرى أن الخطوات الأخيرة ألقت الضوء على بعض الأمور، وعندما سأله "**ساترزويت**" عن

رأيه في قصة "**ماندرز**" قال: إنها أكذوبة، ولكن الأكاذيب أنواع مختلفة، وسألته "**إيج**" عن الخطوة التالية فقال: إنه لايزال مقتنعًا بأن التفكير هو خير طريق للوصول إلى الحقيقة، وقال لها: إنها تستطيع الذهاب إلى "**جيلنج**" لمقابلة أم الآنسة "**ميلراي**"، فهي مقعدة ولا شك تسمع وترى الكثير، فضلا على أن "**بابنجتون**" عاش سنوات طويلة في "**جيلنج**"، وعندما عادت "**إيج**" تسأله بإلحاح عن دوره قال:

– حسن، تريدين مني الحركة.. سوف أقيم مساء الاثنين حفل شراب وسوف أدعو إليه– إلى جانب مجمعنا هذا– أمك والسيدة "**داكريس**"، والنقيب "**داكريس**، والآنسة "**ساتكليف**"، والآنسة "**ويلز**"، والسيد "**ماندرز**". صاحت "**إيج**" قائلة بفرح:

– آه! لا تستطيع أن تخدعني يا سيد "**بوارو**".. سوف يحدث شيء في هذا الحفل.. أليس كذلك؟

– سوف نرى.. لكن لا تنتظري الكثير يا آنسة.. والآن اتركاني مع السيد "**تشارلز**"؛ لأنني أريد أن أستشيره في بعض الأمور.. خرجت "**إيج**" مع "**ساترزويت**"، وقالت "**إيج**" بمرح:

– سوف يكون ذلك رائعًا.. مثلما يحدث في الروايات البوليسية. سوف يلتقي الجميع وعندئذ يخبرنا بمن ارتكب الجريمة.. قبل الجميع الدعوة، وضحكت الآنسة "**ساتكليف**" أمام الجميع قائلة لـ"**بوارو**":

– جئنا جميعًا إلى بيت العنكبوت كالذباب.. سوف نستمع إليك وأنت تلخص القضية ثم تشير نحوي بإصبعك قائلا: أنت القاتلة. وهنا يجب عليّ أن أعترف وأنهار باكية.. سيد "**بوارو**".. أنا أشعر نحوك بالخوف. قال "**بوارو**":

– هذا حفل ودي.. فلنترك الحديث عن الجريمة والدم والسم؛ لأن مثل هذه الأشياء تفقد الإنسان الشهية.. قدم كأسًا للآنسة "**ميلراي**" التي جاءت بصحبة السيد "**تشارلز**" وقال:

– دعونا ننسى المناسبة التي التقينا فيها لأول مرة ولنستمتع بروح الحفل.. فلنأكل ولنشرب ونمرح؛ لأننا غدا نموت.

– يا إلهي! لقد ذكرت الموت مرة ثانية.. انحنى للسيدة "**داكريس**" وهنأها على فستانها الرائع، وقدم السيد "**تشارلز**" كأسًا لـ"**إيج**"، وساد جو من المرح والجميع يتهامسون وارتفع صوت "**بوارو**" قائلا:

– أنا أفضل عصير البرتقال على غيره.. وأفضله ألف مرة على أي شراب يدمر الشهية، يجب ألا...

– ما الذي حدث؟ قاطعه صوت مخنوق غريب.. أشبه بصيحة مختنقة واتجهت جميع الأنظار نحو السيد "**تشارلز**" الذي كان يترنح وعضلات وجهه متشنجة، وسقطت الكأس من يده على السجادة ثم تهاوى إلى الأرض، خيم الصمت هنيهة ثم أطلقت "**أنجيلا ساتكليف**" صرخة مدوية واندفعت "**إيج**" إلى الأمام قائلة بهلع:

– "**تشارلز**"! "**تشارلز**"! أمسك بها "**ساترزويت**" برفق وقالت السيدة "**ماري**" بأسى:

– أوه يا إلهي.. ضحية أخرى؟! صاحت "**أنجيلا**" قائلة:

– دسوا له السم هو الآخر؟ هذا فظيع.. ارتمت على الأريكة باكية.

وانحنى "**بوارو**" فوق الرجل المنبطح على الأرض ليفحصه، ثم نهض وهو ينفض الغبار عن ثيابه بينما يخيم على المكان صمت قاتل، وبصقت "**إيج**" على وجهه قائلة بحدة:

– أيها المغفل.. أيها الممثل الأحمق! أتدعي أنك عظيم وتعرف كل شيء، ويحدث ما حدث تحت سمعك وبصرك.. لو أنك تركت الأمور ما حدث شيء.. أنت الذي قتلت "**تشارلز**" أنت.. أنت. توقفت عندما لم تجد ما تضيفه، قال "**بوارو**" بأسى:

– معك حق يا آنسة .. أنا الذي قتلت السيد "**تشارلز**".. ولكنني قاتل من نوع

خاص. أستطيع أن أقتل كما أستطيع أن أعيد الحياة لقتلاي... تغيرت لهجته وهو يقول بصوته العادي:

– تمثيل رائع يا سيد "**تشارلز**".. أهنئك.. نهض الممثل وهو يضحك وانحنى للجميع، وقالت "**إيج**" لـ"**بوارو**":

– سيد "**بوارو**".. أنت وحش! طلب الجميع تفسيراً لما حدث، وطالبهم "**بوارو**" بالصمت ثم قال:

– سيداتي وسادتي.. كانت هذه المهزلة الصغيرة ضرورية؛ لكي أثبت لكم ولنفسي حقيقة أخبرني عقلي قبل ذلك بأنها صحيحة.. وضعت على هذه الصينية كأساً فيها ملعقة من الماء الصافي ممثلا للنيكوتين النقي.. وجميع هذه الكؤوس من النوع نفسه الذي يمتلكه السيد "**تشارلز**" والسيد "**بارثلوميو**" ونظراً لأن الزجاج سميك فإن أحداً لا يستطيع ملاحظة السائل الذي لا لون له.. تخيلوا الآن كأس الشراب التي قدمت للسيد "**بارثلوميو سترينج**"، بعد أن تناولها ووضعها على الطاولة دس أحدهم فيها كمية كافية من النيكوتين النقي.. كان أي واحد باستطاعته أن يفعل ذلك.. الخادم.. الخادمة.. أي من الضيوف.. وقد مثلنا الليلة مأساة ثالثة، طلبت من السيد "**تشارلز**" أن يلعب دور الضحية ومثل الدور ببراعة.. تخيلوا لو أن هذا لم يكن تمثيلا.. كان السيد "**تشارلز**" يموت.. ما الخطوات التي تتبعها الشرطة؟ قالت الآنسة "**ساتكليف**":

– يفحصون الكأس.. الكأس التي وضعت فيها الماء. قال "**بوارو**" وهو يلمس الكأس بكعبه:

– فلنفترض أن به "نيكوتين".. فهل ترون أن رجال الشرطة سوف يحللون بقايا الكأس ويعثرون على آثار النيكوتين؟ عندما قال بعضهم بالتأكيد.. قال "**بوارو**":

– أنتم مخطئون.. لن يعثروا على النيكوتين؛ لأن هذه ليست الكأس التي شرب منها السيد "**تشارلز**".. أخرج من جيب معطفه الخلفي كأساً أخرى قال إنها

الكأس التي شرب منها السيد "**تشارلز**". وشرح لهم كيف استخدم أسلوب الحواة عندما ساد الهرج، وتركز انتباه الجميع في الضحية واستبدل الكأس دون أن يراه أحد، ثم قال "**بوارو**" :

– الليلة كنا نمثل ملهاة ولكنها قد تنقلب غداً إلى مأساة حقيقية.. لهذا أرجو كل من يعرف شيئًا أن يقوله الآن لكي نتجنب وقوع جريمة أخرى. خيل إلى السيد "**تشارلز**" أن هذا النداء موجه بصفة خاصة إلى الآنسة "**ويلز**" إلا أن أحداً لم يتكلم، وبدأ الضيوف في الانصراف ولم يبق سوى "**إيج**" والسيد "**تشارلز**" والسيد "**ساترزويت**".. كانت "**إيج**" لاتزال غاضبة من "**بوارو**" ولا تريد أن تنظر إلى السيد "**تشارلز**"، وقال الأخير: إنه لم يشأ أن يطلع أحداً على سر تجربته حتى يراقب بنفسه ردّة الفعل على وجه شخص معين عندما يقع السيد "**تشارلز**" ميتًا، وسألته "**إيج**" بحدة عمن يعني، وقال "**بوارو**" إن ذلك سره الخاص، وسأله "**ساترزويت**" عما إذا كان غرضه قد تحقق. قال:

– نعم. قالت "**إيج**" بانفعال:

– معنى هذا أنك عرفت القاتل؟

– تستطيعين أن تقولي إن الأمر كذلك يا آنسة.

– معنى هذا أنك تعرف الآن كل شيء؟

– على العكس.. لا أعرف شيئًا إطلاقًا.. لا أعرف على سبيل المثال سبب قتل "**بابنجتون**"، وحتى أعرف ذلك لا أستطيع أن أثبت شيئًا.. سُمعت طرقة على الباب، ودخل خادم يحمل برقية فتحها "**بوارو**" وتغير وجهه وأعطى البرقية للسيد "**تشارلز**". ومالت "**إيج**" بجسمها فوق كتف السيد "**تشارلز**" وقرأت بصوت مرتفع: «أرجوك الحضور فوراً لمقابلتي؛ لأنني أستطيع أن أزودك بمعلومات قيمة عن موت "**بارثلوميو سترينج**".. "**مارجريت راشبريدجر**"». صاح السيد "**تشارلز**" بدهشة:

– السيدة "**راشبريدجر**" كان تفكيرنا صحيحًا إذن! إن لها دوراً في هذه القضية.

- 6 -

دار في الحال نقاش حاد حول الخطوة التالية وقال السيد "**تشارلز**" :

– لو أن السيد "**بارثلوميو**" جمع كل هؤلاء الناس عن قصد، فإنني أعتقد أن المفاجأة التي كان يتحدث عنها تتعلق بالسيدة "**راشبريدجر**".. أليس كذلك يا سيد "**بوارو**"؟ هز "**بوارو**" رأسه قائلا:

– هذه البرقية تزيد الأمور تعقيداً لكن يجب أن نتحرك بسرعة.

قالت "**إيج**" : إنها قررت الذهاب مع السيد "**تشارلز**" إلى "**جيلنج**" في الصباح، ورد السيد "**تشارلز**" بأنه يمكن تأجيل تلك الرحلة، ولكن "**إيج**" عرضت أن تذهب مع السيد "**تشارلز**" إلى "**جيلنج**". بينما يذهب "**بوارو**" و"**ساترزويت**" إلى "**يوركشاير**"، وعندما عرض السيد "**تشارلز**" أن يتولى مهمة السيدة "**راشبريدجر**" باعتبار أنه مهد قبل ذلك بذهابه إلى المصحة، قالت "**إيج**" إنه اختلق سلسلة من الأكاذيب، ومن الأفضل أن يركز في زيارة أم الآنسة "**ميلراي**" في "**جيلنج**"؛ لأن السيدة سوف تفتح قلبها له أكثر من أي إنسان آخر باعتباره صاحب العمل الذي تعمل ابنتها عنده، ووافقها السيد "**تشارلز**" على ذلك.. كما كان ذلك رأي "**بوارو**" الذي قال إن المعلومات التي سيحصلون عليها من السيدة "**ميلراي**" أهم من تلك التي يمكن الحصول عليها من السيدة "**راشبريدجر**"، وتم الاتفاق على أن تسير الأمور على هذا النحو، استقلت "**إيج**" مع السيد "**تشارلز**" سيارته في ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي، وبدأت رحلتهما إلى "**جيلنج**" التي وصلاها قرب الظهر، وكانت "**جيلنج**" قرية صغيرة فيها كنيسة قديمة، و"أبرشية"، وبعض المحال التجارية الصغيرة، وصف من الأكواخ، وبضعة بيوت حديثة بالإضافة إلى الوادي الأخضر الجميل.. وكانت السيدة "**ميلراي**" تعيش في بيت صغير على الجانب الآخر من موقع الكنيسة، وقالت "**إيج**" :

– هل تعرف الآنسة "**ميلراي**" أنك ذاهب لمقابلة أمها؟

– أوه! طبعًا.. لقد أرسلت إليها خطابًا لتستعد لمقابلتنا.

– هل تعتقد أن ذلك كان صوابًا؟

– لماذا يا عزيزتي تسألين هذا السؤال؟

– لا أدري..

اتضح أن الأم مختلفة تمامًا عن ابنتها، فعلى حين تبدو الآنسة "**ميلراي**" خشنة الطباع تبدو أمها غاية في الرقة.. كانت الأم جالسة في مقعد ذي عجلات بجوار النافذة لكي تتطلع من خلالها إلى العالم الخارجي، وكانت تبدو منشرحة الصدر لهذه الزيارة، وقالت:

– هذه لفتة طيبة من جانبك يا سيد "**تشارلز**".. لقد سمعت عنك الشيء الكثير من ابنتي "**فيوليت**" (وسمعا هذا الاسم لأول مرة) لا تدري كم هي معجبة بك! هي سعيدة لعملها معك طوال هذه السنين.. تفضلا بالجلوس.. معذرة لأنني لا أستطيع الوقوف فقد توقفت أطرافي عن الحركة منذ بضع سنوات.. هذه إرادة الله وأنا راضية بحكمه.. قال السيد "**تشارلز**":

– أعتقد أنك سمعت يا سيدة "**ميلراي**" عن مأساة وفاة السيد "**بابنجتون**" الذي كان قسًّا لسنوات طويلة في "**جيلنج**"؟

– نعم.. قرأت كل ما كتب عن استخراج الجثة من القبر.. لا أتصور إنسانًا يقدم على قتل الرجل المسالم.. كان رجلا لطيفًا يحبه الجميع.. كذلك زوجته وأطفالهما.. قال السيد "**تشارلز**":

– إنها مأساة كبرى.. لقد كدنا نيأس.. لهذا قصدناك لعلك تستطيعين معونتنا..

– أنا؟ ولكنني لم أر أسرة "**بابنجتون**" منذ خمسة عشر عامًا.

– أعرف هذا.. لكن رأينا أن شيئًا ربما حدث في الماضي يمكن أن يلقي الضوء على الغموض الذي يحيط بالمأساة.

– لا أظن ذلك.. كانا يعيشان حياة هادئة في فقر شديد مع وجود كل هذا العدد من الأولاد.. حاولت السيدة "**ميلراي**" أن تتذكر شيئًا، ولكن ذكرياتها لم

تجد شيئًا، وعرض عليها السيد "**تشارلز**" نسخًا مكبرة من صور السيد والسيدة "**داكريس**" في فترة شبابهما، وكذا للآنسة "**ويلز**" واستعرضت السيدة "**ميلراي**" الصور ولم تتعرف أحداً، وعندئذ سألها السيد "**تشارلز**" عما إذا كانت تعرف سيدة تدعى "**راشبريدجر**" وأجابت بالنفي، واضطر السيد "**تشارلز**" و"**إيج**" إلى الانصراف في النهاية، وقررا تناول غداء خفيف في مطعم القرية الصغير، وكانت السيدة التي تقوم بالخدمة ثرثارة تحب الحديث، وقالت إنها قرأت ما كتب في الصحف عن وفاة السيد "**بابنجتون**" وأخبار استخراج الجثة من القبر، وقالت إنها كانت طفلة عندما كان "**بابنجتون**" قسًّا في القرية، ولم تستطع بدورها أن تزودهما بمعلومات تفيد الهدف الذي جاءا من أجله، وذهبا بعد الغداء إلى الكنيسة، واطلعا على سجلات المواليد والزواج والوفيات ومرة ثانية لم يعثرا على شيء مفيد. خرجا بعد ذلك إلى المدافن وأخذا يقرآن أسماء الموتى المسجلة على شواهد القبور، وطالعتهما أسماء غريبة مثل "**سافبينيز**" و"**ماري ستكلبات**"، وقال "**تشارلز**" ضاحكًا:

– ليس بينهم اسم أشد غرابة من اسمي.. لا أقصد "**كارتر هوايت**"، فهذا هو الاسم الفني الذي اخترته كممثل... وإنما أعني اسم الأسرة الحقيقي.. ألحت عليه "**إيج**" أن يخبرها بذلك الاسم، وقال بعد إلحاح:

– أيتها الطفلة الحبيبة..

– لست طفلة..

– ألست طفلة؟ إنني أتعجب! همست "**إيج**" بصوت ناعم:

– أرجو أن تخبرني.. قال السيد "**تشارلز**" أخيرا:

– كان اسم أبي "**ماج**". ضحكت "**إيج**" وهي تقول:

– إنها كارثة أن تمشي في المجتمع وأنت تحمل اسم "**ماج**".

– فكرت أن أقف على المسرح باسم "**لودفيك كاستيجلون**"، ثم استقر رأيي على "**تشارلز كارتر هوايت**".

– هل اسمك الحقيقي "**تشارلز**" ؟

– نعم.. لماذا لا تنادينني "**تشارلز**" غير مصحوب بلقب السيد؟

– ربما فعلت.

– لقد فعلت ذلك بالأمس عندما ظننت أنني مت.. "**إيج**" ما رأيك في أن ننسى كل شيء عن هذه الجريمة التي تبدو الآن خيالية.. سبق لي أن أمطت اللثام عن بعض الجرائم في الماضي، لكن لماذا لا أنجح في هذه القضية؟ لقد مثلت بنجاح على خشبة المسرح أدواراً كثيرة للعاشق، لماذا لا أستطيع أن أحقق ذلك على مسرح الحياة؟ يجب أن أعرف.. هل تحبينني أم تحبين "**أوليفر ماندرز**" ؟ ظننت بالأمس أنك تحبينني.

– كان ظنك صحيحًا. صاح السيد "**تشارلز**" بسرور:

– أنت أيها الملاك الجميل!

– "**تشارلز**" .. "**تشارلز**" .. لا يليق أن تقبلني في ساحة الكنيسة..

– سوف أقبلك في أي مكان أشاء. قالت "**إيج**" في أثناء رحلة العودة إلى "**لندن**" : إنهما لم يكتشفا شيئًا، وقال السيد "**تشارلز**" باندفاع:

– هراء.. لقد اكتشفنا الشيء الوحيد الجدير بالاكتشاف.. بماذا يفيدني موت رجل دين أو طبيب؟ أنت الشيء الوحيد الذي يهمني.. أنت تعرفين يا عزيزتي أنني أكبرك بثلاثين عامًا.. هل أنت واثقة بأن ذلك لا يهم؟ قرصته في ذراعه برقة وهي تقول:

– لا تكن أحمق.. ترى هل توصل الآخرون إلى شيء؟

قال السيد "**تشارلز**" إنه يرحب بنجاحهم وسألته لماذا تخلى عن اهتمامه، وكان متحمسًا لكشف غموض القضية، وقال إنه ترك تلك المهمة لصاحب الشارب الكث، فذلك عمله ولابد له من أن يدافع عن "**راشبريدجر**" المسكينة. صاح "**بوارو**" بدهشة:

– ماتت؟! هذا يفسر الأمر.. لكن كيف ماتت؟

– الأمر غامض.. تلقت صندوق شوكولاتة بالبريد.. أكلت قطعة ويبدو أن طعمها كان فظيعًا ولكن المفاجأة جعلتها تبتلعها.. لا يحب الإنسان عادة أن يبصق ما يدخل فمه. قال "**بوارو**":

– نعم.. نعم.. خصوصًا إذا تسرب إلى الحلق سائل؛ لأن الأمر يصبح صعبًا.

قالت رئيسة الممرضات إنها نادت الممرضة ولكنها ماتت بعد دقيقتين، وأخطر الطبيب رجال الشرطة الذين فحصوا الشوكولاتة، وقرروا أن السم الذي دس داخل قطع الشوكولاتة هو النيكوتين. قال "**بوارو**":

– النيكوتين مرة أخرى؟ يا لها من ضربة! يا لها من ضربة جريئة! قال "**ساترزويت**" بمرارة:

– وصلنا متأخرين.. لن نعرف الآن ما كانت تريد أن تقوله لنا.. ما لم.. ما لم تكن قد أفضت بشيء إلى إنسان ما.. هزت الممرضة رأسها، وعرض عليها "**بوارو**" أن تسأل الممرضات، واستدعت اثنتين من الممرضات كانتا تقومان بخدمة السيدة "**راشبريدجر**"، ولكن إحداهما لم تستطع أن تدلي بمعلومات مفيدة. لم تتحدث السيدة "**راشبريدجر**" عن موت السيد "**بارثلوميو**"، ولم تسمع إحداهما عن البرقية التي أرسلتها. بناء على طلب "**بوارو**" سمحت لهما كبيرة الممرضات بالذهاب إلى غرفة السيدة، والتقيا بـ"**كروسفيلد**" مفتش الشرطة وقدم له "**ساترزويت**" السيد "**بوارو**". ألقى الرجلان نظرة على وجه السيدة الميتة، كانت في حوالي الأربعين، سوداء الشعر، شاحبة الوجه لاتزال على وجهها علامات الألم.. نظر "**ساترزويت**" إلى وجه البلجيكي ورأى عليه تعبيرًا غريبًا جعل "**ساترزويت**" يرتجف وقال:

– علم أحد الأشخاص أنها على وشك الكلام فقتلها... قتلت حتى لا تتكلم.

أومأ "**بوارو**" برأسه مؤمنًا وقال:

– أو لعلها قتلت بسبب مالا تعرفه.. لكن فلنسرع الآن.. أمامنا عمل كثير لنمنع وفيات أخرى.. يجب أن نسرع. سأله "**ساترزويت**" بدهشة عما إذا كان

ذلك يتفق والفكرة التي رسخت في ذهنه، وقال "**بوارو**" :

– نعم.. ولكنني أدرك الآن أن المجرم أشد خطورة مما كنت أتصور، ويجب أن نكون على حذر..

رافقهما "**كروسفيلد**" إلى خارج الحجرة وسمع عن البرقية التي تسلموها، وعند التحري عن كيفية إرسالها من مكتب البريد اتضح أن الذي قام بتسليمها صبي صغير. وبعد تناول الغداء بصحبة المفتش وإرسال برقية للسيد "**تشارلز**" استمرت التحريات.

تم العثور على الصبي في السادسة مساء، وقال إنه تسلم البرقية من رجل يلبس ثيابًا مهلهلة، وأخبره الرجل بأن سيدة وحيدة في البيت الذي يطل على الحديقة العامة طلبت إليه إرسال البرقية مقابل جنيهين، وخشي الرجل أن يورطه ذلك في المشاكل وعهد إلى الصبي بالقيام بهذه المهمة في مقابل ستة بنسات.. واتضح أنه من العبث البحث عن الرجل، وعندما أدرك الرجلان أنهما لن يتوصلا إلى شيء قررا العودة إلى "**لندن**" ووصلا قرب منتصف الليل، وكانت "**إيج**" قد عادت إلى بيتها واستقبلهما السيد "**تشارلز**"، وتداول ثلاثتهم في الموقف، وقال "**بوارو**" :

– شيء واحد يحل هذه القضية.. خلايا المخ.. من العبث البحث عن هذا الرجل.. قال السيد "**تشارلز**" في شيء من السخرية:

– وماذا تنتظر منا أن نفعل إذن؟

– أريد أن أفكر.. امنحوني أربعًا وعشرين ساعة أفكر في الأمر. ابتسم السيد "**تشارلز**" ابتسامة خفيفة وقال:

– وهل سيهديك التفكير إلى ما كانت تلك السيدة تنوي أن تقوله؟

– أعتقد هذا..

– يبدو ذلك شبه مستحيل.. على أي حال لك أن تعالج الموقف بالطريقة التي تحلو لك. أعترف لك بأنني فشلت.. وعلى أية حال أمامي سمكة أخرى أصطادها. لعله كان يرجو أن يسأله أحد عما يقصده، ولكن الرجلين خيبا ظنه،

وظل "بوارو" مستغرقًا في أفكاره، وقال الممثل:

– حسن.. أنا ذاهب.. ولكنني قلق على الآنسة "ويلز".

– ماذا بشأنها؟

– لقد اختفت!

– اختفت؟! كيف؟

– لا أحد يعرف.. كما ذكرت لكما من قبل أنا مقتنع بأن تلك السيدة تعرف شيئًا لا تريد أن تصارحنا به.. ذهبت إلى منزلها في حوالي التاسعة والنصف، وسألت عنها فعلمت أنها غادرت البيت في الصباح، وأنها ذهبت إلى العاصمة لتقضي اليوم.. وتلقى أهلها برقية في المساء تقول فيها إنها لن تعود قبل يوم أو يومين ولا داعي إلى القلق.

– وهل كان أهلها قلقين؟

– أعتقد ذلك.. لأنها لم تأخذ معها أي ملابس. همس "بوارو" قائلا بدهشة:

– شيء غريب، لقد حذرتها كما حذرت الجميع.. على أية حال لديَّ أفكاري وأفضل عدم مناقشتها في اللحظة الراهنة.

– "إيليس" الخادم أولا.. عجيب ألا تمسك به الشرطة إلى الآن. قال "بوارو":

– لم يبحثوا عن جثته في المكان المناسب.

– إذن فأنت توافق "إيج" على أنه قتل؟

– لن يظهر "إيليس" على قيد الحياة مرة ثانية. قال السيد "تشارلز" بجزع:

– يا إلهي! هذا كابوس.. يبدو الأمر برمته غير قابل للتصديق. قال "بوارو" بهدوء:

– كلا.. كلا.. على العكس الأمر منطقي وواضح.. حملق السيد "تشارلز" إلى وجهه قائلا بدهشة:

– أنت تقول ذلك؟

– بالتأكيد.. أنا أملك عقلا منظمًا. وعندما سأله السيد "تشارلز" عن رأي

"**بوارو**" في عقله قال:

– لك عقلية الممثل يا سيد "**تشارلز**".. العقل الخلاق الذي يرى دائمًا القيم الدرامية، أما السيد "**ساترزويت**" فله عقلية متفرج المسرح الذي يلاحظ الشخصيات ولديه الإحساس بالجو المحيط به.. أما أنا فأرى الحقائق وحدها دون ديكورات أو إضاءة. استأذن "**بوارو**" للانصراف وقال السيد "**تشارلز**" بعد خروجه:

– ذلك الرجل شديد الثقة بنفسه. وقال له "**ساترزويت**":

– ما الذي كنت تقصده بقولك إن أمامك سمكة أخرى تصطادها؟ قال السيد "**تشارلز**" بعد تردد:

– آه.. حسن.. آه.. أنا و"**إيج**".

– أنا سعيد لسماع ذلك.. لك خالص تهنئتي.

– بالطبع أنا أكبر منها بسنوات كثيرة.

– هي لا تفكر في فارق السن.. وأعتقد أن الحكم الأخير لها في هذا الشأن.

– هذا لطف منك يا "**ساترزويت**".. كنت أعتقد أنها مغرمة بـ"**ماندرز**" الشاب.

– إنني مندهش لتفكيرك على هذا النحو..

- 7 -

لم يحصل "**بوارو**" على مهلة الأربع والعشرين ساعة التي طلبها، ففي الساعة الحادية عشرة والثلث من صباح اليوم التالي جاءت إليه "**إيج**"، وفوجئت بالمخبر الخاص الكبير يبني بيوتًا من أوراق الكرتون، ونظرت إليه الفتاة بازدراء، وقال "**بوارو**" مدافعًا عن نفسه:

– لم أرتد إلى الطفولة كما تتخيلين يا آنسة.. فقد وجدت بناء البيوت من ورق الكرتون عملية تشحذ الذهن وهي عادة قديمة..

أعـادت "**إيج**" النظر إلى البـيـوت، وضـحكت وأخـبـرته بأن أوراق اللعب التي اشتراها ليستعين بها في اللعب تسمى (العائلة السعيدة)، وأمسكت بعض الأوراق في يدها وهي تقول بفرح:

– السيد "**بان**" ابن الخباز، أحببته دائمًا.. وهذه السيدة "**ماج**" زوجة بائع الحليب (اللبن).. أوه يا إلهي! أعتقد أنني السيدة "**ماج**".

– لماذا تختارين أن تكون تلك الصورة المضحكة هي أنت يا آنسة؟

– بسبب الاسم. ضحكت "**إيج**" عاليًا و"**بوارو**" ينظر إليها بدهشة، وعندما انتهت من ضحكها قال:

– آه! إذن فقد كان هذا ما يعنيه السيد "**تشارلز**" في الليلة الماضية.. لقد اندهشت.. "**ماج**".. آه! يقول أحدهم بلغة الحوار الدارجة للآخر: أنت "**ماج**"! يعني مغفل! طبيعي أن يغير الإنسان اسمه.. لن تحبي أن يناديك أحد باسم السيدة "**ماج**"؟ أليس كذلك؟ ضحكت "**إيج**" مرة أخرى وقالت:

– حسن.. أرجو أن تتمنى لي السعادة.

– إنني أتمنى لك السعادة يا آنسة.. ليس سعادة الشباب فقط.. وإنما سعادة المستقبل الدائم التي تقام على أساس راسخ.. أساس من الصخر.

– سوف أخبر "**تشارلز**" بأنك تدعوني «صخرة».. ولنعد الآن إلى الموضوع الذي جئتك من أجله.. إنني كنت أفكر في قلق على تلك القصاصة التي سقطت من مفكرة "**أوليفر**"، تلك التي وقعت أمام الآنسة "**ويلز**" والتقطتها وناولته إياها، إنني أعتقد أن "**أوليفر**" إنما يقول كذبة عندما يقرر أنه لا يذكر المناسبة التي وضعها في المفكرة، أو أنها لم تكن موجودة أصلا.. لقد أسقط قصاصة غريبة وزعمت تلك المرأة أنها تتعلق بـ«النيكوتين».

– ولماذا تفعل شيئًا كهذا يا آنسة؟

– لأنها كانت تريد أن تتخلص منها وادعت أنها لـ"**أوليفر**".

– تعنين أنها القاتلة.

– نعم..

– وما دافعها؟

– لا فائدة من توجيه هذا السؤال إليّ.. كل ما أستطيع أن أقترحه أنها مجنونة.. عادة ما يكون الأشخاص الأذكياء مجانين.. لا أستطيع أن أرى سببًا آخر.. إنني لا أستطيع أن أفكر في أي دافع.

– هذه هي المشكلة..ما كان ينبغي لي أن أسألك أن تخمني الدافع. ولكنني كنت أسأل نفسي دون توقف: ما الدافع لقتل السيد "**بابنجتون**"، وعندما أستطيع الإجابة عن هذا السؤال أكون قد وجدت حل اللغز.

– ألا تعتقد أنه مجرد الجنون؟

– كلا. ليس الجنون بالمعنى الذي تقصدينه.. هناك العقل.. يجب أن أبحث عن هذا الإدراك العاقل.

– حسن.. أتركك الآن.. آسفة لإزعاجك ولكن الفكرة خطرت ببالي.. سوف أذهب مع السيد "**تشارلز**" لحضور بروفة المسرحية التي كتبتها الآنسة "**ويلز**" لـ"**أنجيلا ساتكليف**".. سوف تعرض العرض الأول غداً. قال "**بوارو**" فجأة:

– يا إلهي!

– ماذا؟ ما الذي حدث؟

– لقد حدث شيء بالفعل.. فكرة رائعة.. أوه! لقد ظللت أعمى .. أعمى!

حملقت "**إيج**" إلى وجهه بدهشة، وتمالك "**بوارو**" أعصابه وربت كتف "**إيج**" قائلا:

– تعتقدين أنني مجنون.. ليس بالمرة.. لقد سمعت ما قلته.. أنت ذاهبة لمشاهدة البروفة الأخيرة لمسرحية الآنسة "**ويلز**"، وسوف تمثل الآنسة "**ساتكليف**" في المسرحية.. اذهبي ولا تلقي بالا لما قلته لك الآن. بعد خروج "**إيج**"، أخذ "**بوارو**" يذرع الغرفة جيئة وذهابًا وقد لمعت عيناه كعيني القطة وهمس لنفسه قائلا:

«لكن نعم.. هذا يفسر كل شيء.. دافع غريب.. دافع بالغ الغرابة.. لم أفكر في مثل هذا الدافع من قبل ومع هذا فهو معقول». اتجه نحو المنضدة التي كان يبني فوقها البيوت من ورق الكرتون وهو يقول: (الأسرة السعيدة) لم أعد أحتاج إليها.. لقد عثرت على حل اللغز ولم يبق أمامي سوى التحرك.

استقل سيارة أجرة إلى بيت السيد "**تشارلز**" ولم يجد البواب، وفتح الباب ودخل الطابق الأرضي، وبدأ يرتقي السلم إلى الطابق الأول عندما لمح باب غرفة السيد "**تشارلز**" يفتح والآنسة "**ميلراي**" تخرج منه، وفزعت الآنسة "**ميلراي**" عندما رأت "**بوارو**" وقالت بانفعال:

– أنت! ابتسم "**بوارو**" قائلا:

– نعم.. إنه أنا.. أنا أخيراً..

– أخشى أنك لن تجد السيد "**تشارلز**".. لقد ذهب إلى المسرح مع الآنسة "**ليتون جور**".

– ليس السيد "**تشارلز**" هو من أبحث عنه.. إنها العصا التي نسيتها عندما كنت هنا من قبل.

– أوه! حسناً.. لو ضربت الجرس سوف تبحث لك الخادمة "**تمبل**" عنها.. أنا آسفة لعدم استطاعتي الانتظار؛ لأنني أريد أن ألحق القطار.. أنا ذاهبة إلى أمي.

– أنا أقدر موقفك.. لا أريد أن أعطلك يا آنسة.

أفسح لها الطريق وهبطت الآنسة "**ميلراي**" السلم بسرعة وهي تحمل حقيبة أوراق صغيرة، وعندما غادرت البيت كان "**بوارو**" قد نسي الغرض الذي جاء من أجله، وبدلا من الصعود هبط السلم مرة ثانية، وعندما وصل "**بوارو**" لأول باب كانت الآنسة "**ميلراي**" قد استقلت سيارة أجرة.

خرج "**بوارو**" ببطء، ونادى أول سيارة أجرة رآها وطلب إلى السائق أن يتبع السيارة الأخرى. ولم يندهش "**بوارو**" عندما وجد السيارة تتوقف أمام محطة "**بادنجتون**" للذهاب إلى "**كنت**". حجز "**بوارو**" تذكرة درجة أولى للسفر إلى

"**لوماوث**"، ورفع ياقة المعطف ليغطي وجهه واستقل القطار. وصلا إلى "**لوماوث**" حوالي الساعة الخامسة مع أول خيوط الظلام، وأبطأ "**بوارو**" حتى سمع حارس الباب يحيي الآنسة "**ميلراي**" قائلا:

– حسن.. لم نكن لنتوقع حضورك.. هل سيأتي السيد "**تشارلز**" أيضًا؟

وأجابت الآنسة "**ميلراي**" قائلة:

– لم يكن حضوري متوقعًا.. وسوف أعود صباح الغد.. جئت لمجرد البحث عن بعض الأشياء.. لا أريد عربة.. شكرًا لك.. سوف أسلك الممر الصخري. ازدادت كثافة الظلام.. وكان "**بوارو**" حريصًا على أن يتأخر عنها مسافة كافية وكان يسير بخفة القط، وعندما وصلت إلى بيت "**عش الغراب**" أخرجت من حقيبتها مفتاحًا فتحت به الباب الجانبي وتركته مواربًا، وعادت إلى الظهور بعد دقيقتين وهي تحمل مفتاحًا صدئًا وكشافًا كهربائيًا في يدها. تراجع "**بوارو**" إلى مبنى حجري قديم يشبه القلعة، ووضعت الآنسة "**ميلراي**" المفتاح الصدئ في فتحة الباب الخشبي الكبير.. أحدث المفتاح صريرًا وفتح الباب على مصراعيه.. ودخلت الآنسة "**ميلراي**" حاملة في يدها المصباح الكشاف. سار "**بوارو**" نحو الباب بخطى سريعة ودخل بدوره دون أن يسمع لوقع خطواته صوت، ورأى "**بوارو**" على ضوء المصباح الكشاف مجموعة من الأواني الزجاجية ومصباح بنز وبعض الأجهزة.. رفعت الآنسة "**ميلراي**" سيخًا من الحديد لتحطم به الأجهزة المصنوعة من الزجاج، ولكن يدًا قبضت على يدها بقوة.. وصرخت الآنسة "**ميلراي**" للمفاجأة. استدارت لتلتقي نظراتها بنظرات "**بوارو**" النفاذة وقال لها "**بوارو**" بحزم:

– لا تستطيعين أن تفعلي هذا؛ لأن ما تريدين تحطيمه هو دليل الاتهام!

- 8 -

جلس "**بوارو**" في المقعد الكبير ذي المساند بعد أن أطفأ أنوار الحجرة، تاركًا نور "أباجورة" وردية تغمره بنورها، وكان النور يغمره وحده بينما يجلس الثلاثة

الآخرون: السيد "**تشارلز**" و"**إيج ليتون جور**" و "**ساترزويت**" في الظلام. كان صوت "**بوارو**" حالمًا كأنما يحدث نفسه أكثر مما يوجه حديثه إلى مستمعيه:

- بناء الجريمة هو عمل المخبر الخاص.. ولكي تبني الجريمة يجب أن تضع الحقيقة فوق الأخرى كما تفعل عند بناء بيت من ورق الكرتون.. إذا لم يستقم البناء.. لو لم تتوازن قطعة مع الأخرى، يجب عليك أن تعيد البناء من جديد وإلا تهاوى المبنى. والآن.. أعترف بأن السيد "**تشارلز**" كان على حق وبأنني كنت مخطئًا.. كنت مخطئا؛ لأنني كنت أنظر إلى الجريمة من زاوية مصطنعة تمامًا.. لم أنتبه إلى الزاوية الصحيحة إلا منذ أربع وعشرين ساعة فقط، ودعوني أقول لكم إنه من تلك الزاوية للرؤية كان قتل "**ستيفن بابنجتون**" معقولا وممكنًا. وإن ارتكاب هذه الجرائم كان لمصلحة ذلك الشخص المعين، والآن يجب أن أقول بلا حرج إن الشيء الرئيسي الذي سبب لي القلق هو حقيقة أن موت السيد "**بارثلوميو سترينج**" جاء بعد موت "**ستيفن بابنجتون**" وعندما ننظر إلى تلك الجرائم الثلاث دون تمييز بين الوقت والزمان، فإن الاحتمالات تشير إلى أن قتل السيد "**بارثلوميو سترينج**" هو ما يمكن أن نسميه «الجريمة الوسطى» أو «المركزية»، وأن الجريمتين الأخريين ثانويتان.. أو بتعبير آخر وقعتا بسبب الصلة القائمة بين شخصيهما والسيد "**بارثلوميو**". على أية حال- كما سبق أن أشرت من قبل- لا يستطيع الإنسان أن ينظر إلى الجريمة بالصورة التي كان يريد لها أن تحدث.. قتل "**ستيفن بابنجتون**" أولا ثم السيد "**بارثلوميو سترينج**" في وقت لاحق، ومن ثم ظهر كما لو أن الجريمة الثانية نشأت بالضرورة عن الجريمة الأولى، ومن ثم يتعين علينا أن نحقق في الجريمة الأولى حتى نتوصل إلى حل القضية كلها.

ولقد تمسكت في الواقع بنظرية الاحتمال، وفكرت في احتمال وقوع خطإ ما، هل كان المقصود قتل السيد "**بارثلوميو سترينج**" في المرة الأولى، وجاء موت "**ستيفن بابنجتون**" على سبيل الخطإ؟ واضطررت إلى التخلي عن هذه الفكرة؛ لأن أي إنسان يعرف السيد "**بارثلوميو سترينج**" معرفة وثيقة يعلم كراهيته لعادة

شرب الكوكتيل.

اقتراح آخر: هل حدث قتل "**ستيفن بابنجتون**" بالسم على سبيل الخطإ، حيث كان المقصود شخصًا آخر من الموجودين في الحفل؟ لم أستطع أن أعثر على أي دليل يؤيد مثل هذه الفكرة. لهذا اضطررت إلى التسليم بأن موت "**ستيفن بابنجتون**" كان مقصودًا. يجب أن يبدأ الإنسان تحرياته بأكثر النظريات بساطة ووضوحًا.. مع التسليم بأن "**ستيفن بابنجتون**" شرب كأسًا مسمومة من الكوكتيل، مَنْ الشخص الذي تتوافر له الفرصة لدس السم؟ بدا لي من النظرة الأولى أن الشخصين الوحيدين اللذين يستطيعان ذلك هما اللذان شاركا في تقديم الكؤوس للمدعوين وهما السيد "**تشارلز كارتر هوايت**" نفسه أو الخادمة "**تمبل**"، إلا أنه مع افتراض أن واحدًا منهما هو الذي دس السم في الكأس، فإن أيهما ليست لديه فرصة توجيه الكأس المسمومة إلى "**بابنجتون**" بالذات.. كانت الفرصة تتاح للخادمة لو أن الكأس المسمومة تبقى كآخر كأس على الصينية، وعلى الرغم من عدم سهولة ذلك إلا أنه كان ممكنا. وكان السيد "**تشارلز**" باستطاعته أن يفعل ذلك لو أنه حمل الكأس المسمومة وقدمها بنفسه للقس، ولكن شيئًا من ذلك لم يحدث، وبدا كما لو أن المصادفة- والمصادفة وحدها- هي التي وجهت الكأس إلى يد "**بابنجتون**".

تولى السيد "**تشارلز**" والخادمة "**تمبل**" تقديم كؤوس الشراب. هل كان واحد منهما موجودًا في "**ميلفورد آبي**"؟ الجواب بالنفي. من الذي كانت لديه الفرصة لتسميم كأس السيد "**بارثلوميو**"؟ الخادم الهارب "**إيليس**" ومساعدته الخادمة، ولكن يظل الاحتمال قائمًا أن واحدًا من الضيوف كان باستطاعته أن يفعل ذلك.

عندما انضممت إليكم في بيت "**عش الغراب**" كانت لديكم قائمة تتضمن أسماء الأشخاص الذين كانوا موجودين في "**عش الغراب**" وفي "**ميلفورد آبي**"، وأستطيع أن قول الآن إن الأسماء الأربعة التي كانت تتصدر القائمة: النقيب والسيدة "**داكريس**"، والآنسة "**ساتكليف**" والآنسة "**ويلز**" استبعدتها في الحال.

من المستحيل أن يكون أي واحد من هؤلاء الأشخاص الأربعة قد عرف مسبقًا أنه سوف يقابل "**ستيفن بابنجتون**" على العشاء، ويبين استخدام النيكوتين أنها خطة مدبرة بعناية، وليس عملية يمكن أن تخطر على البال من وحي اللحظة، وكانت هناك ثلاثة أسماء أخرى: السيدة "**ماري ليتون جور**" والآنسة "**ليتون جور**" والسيد "**أوليفر ماندرز**". وعلى الرغم من أنه ليس من المحتمل أن يكون واحد منهم هو الذي دسَّ السم إلا أنه ممكن؛ لأنهم من المجتمع المحلي، وربما كان لدى أحدهم الدافع للتخلص من "**ستيفن بابنجتون**"، واختار الحفل الذي يقام في تلك الليلة ليضع خطته موضع التنفيذ. ومن الناحية الأخرى، لم أستطع أن أعثر على أي دليل يثبت أن أي واحد منهم قد فعل شيئًا كهذا. وأعتقد أن تفكير السيد "**ساترزويت**" تمشَّى معي في الاتجاه نفسه، وركز شكوكه في السيد "**أوليفر ماندرز**"، وأستطيع أن أقول إن "**ماندرز**" الشاب كان موضع الكثير من الريب والشكوك، فقد أظهر في "**عش الغراب**" تلك الليلة قدرًا كبيرًا من توتر الأعصاب، وكانت له نظرة مشوهة بالنسبة إلى الحياة تبعًا لمتاعبه الشخصية، وعنده مركب نقص شديد مما يعتبر سببًا لارتكاب الجريمة، وسبق أن تشاحن مع السيد "**ستيفن بابنجتون**"، ثم كانت تلك الظروف الغريبة التي ظهر بها في "**ميلفورد آبي**"، وبعد ذلك سمعنا منه تلك القصة الغريبة عن الخطاب الذي تلقاه من السيد "**بارثلوميو سترينج**"، وما قيل عن أن الآنسة "**ويلز**" رأت قصاصة من إحدى الصحف في مفكرته حول سم النيكوتين.. هكذا يكون السيد "**ماندرز**" هو الشخص الذي ينبغي أن يوضع على رأس قائمة المشتبه فيهم. لكن يا أصدقائي، داخلني إحساس غريب، ظهر لي واضحًا وجليًّا أن الشخص الذي ارتكب هذه الجرائم لابد من أن يكون شخصًا حضر المناسبتين أو بمعنى آخر، شخص من بين السبعة الذين تتضمنهم القائمة، ولكن إحساسًا راودني أن هذا الدليل الواضح مدبر، وأحسست أنني لا أنظر إلى الحقيقة وإنما لصورة مرسومة بإتقان، ويدرك أي مجرم حقيقي ذكي أن أي اسم تتضمنه القائمة لابد من أن يكون موضع الشبهة

ومن ثم يلجأ هو- أو هي- إلى إثبات عدم وجوده في مكان الجريمة.

وبتعبير آخر.. كان قاتل "**ستيفن بابنجتون**" والسيد "**بارثلوميو سترينج**" موجوداً في كلتا المناسبتين، ولكنه لم يكن ظاهراً بهذه الصورة الواضحة.. من الذي كان موجوداً في المناسبة الأولى وغاب عن الثانية؟ السيد "**تشارلز كارتر هوايت**" السيد "**ساترزويت**"، الآنسة "**ميلراي**"، والسيدة "**بابنجتون**".. هل كان باستطاعة واحد من هؤلاء الأربعة أن يظهر في المناسبة الثانية بصورة غير صورته الحقيقية؟ السيد "**تشارلز**" والسيد "**ساترزويت**" كانا في جنوب "**فرنسا**"، وكانت الآنسة "**ميلراي**" في "**لندن**"، والسيدة "**بابنجتون**" في "**لوماوث**".. هل كانت الآنسة "**ميلراي**" تستطيع أن تظهر في "**ميلفورد آبي**" دون أن يتعرف إليها أحد؟ للآنسة "**ميلراي**" ملامح متميزة لا يمكن لأحد أن يخطئها أو ينساها حتى لو تنكرت.. هل كان يمكن للسيد "**ساترزويت**" أو السيد "**تشارلز**" أن يظهرا في "**ميلفورد آبي**" دون أن يتعرف إليهما أحد؟ يمكن بالنسبة إلى السيد "**ساترزويت**"، ولكن الأمر يختلف تماماً بالنسبة إلى السيد "**تشارلز**".. فهو ممثل اعتاد أن يلعب أدواراً مختلفة، لكن أي دور كان يمكن أن يلعبه؟

هنا أصل إلى الخادم "**إيليس**".. "**إيليس**" شخصية يحيط بها الغموض، شخص يظهر قبل وقوع الحادث بأسبوعين ثم يختفي في أعقابه بنجاح كامل.. لماذا حقق "**إيليس**" هذا النجاح؟ لأن "**إيليس**" في الواقع شخصية لا وجود لها.. "**إيليس**" لم يكن حقيقياً.. لكن هل كان ذلك ممكناً؟ كان جميع الخدم في "**ميلفورد آبي**" يعرفون السيد "**تشارلز كارتر هوايت**"، وكان السيد "**بارثلوميو سترينج**" صديقاً حميماً له.. كان انتحال شخصية الخادم لا يمثل أي مخاطرة فيما لو كان الخدم قد اكتشفوا ذلك؛ لأنه إذا مضى أسبوعان ولم يكتشف أحد شيئاً يكون منتحل شخصية الخادم في أمان تام.. تذكرت كل الملاحظات التي أبداها الخدم عن "**إيليس**"، كان سيداً مهذباً ويبدو أنه اعتاد حياة البيوت الراقية وكان يعرف عدداً

من الفضائح التي تجري في تلك البيوت.. كان ذلك شيئًا بالغ السهولة، ولكنني استمعت إلى تقرير له مغزاه من الخادمة "**أليس**"، فقد قالت: «كان يرتب العمل بصورة تختلف عن أي خادم رأيته من قبل» عندما قيلت لي تلك الملاحظة تأيدت النظرية التي افترضتها. ولكن الأمر يختلف مع السيد "**بارثلوميو**" فمن الصعب أن ينجح الممثل في خداعه وهو يعرف الشيء الكثير عن التمثيل.. هل لدينا دليل على صحة هذه النظرية؟ نعم.. أبدى السيد "**ساترزويت**" ملاحظة ذكية في البداية معلقًا على قول السيد "**بارثلوميو**" للخادم "**إيليس**" ممازحًا- على غير عادة الطبيب مع الخدم- «أنت خادم من الدرجة الأولى، أليس كذلك يا "**إيليس**"؟» ملاحظة واعية لو أن الخادم كان السيد "**تشارلز**". قالها السيد "**بارثلوميو**" على سبيل الفكاهة.. وهذا هو لا شك ما حدث.. وكانت تلك هي المفاجأة التي ينوي السيد "**بارثلوميو**" أن يعلنها.. لاحظوا أيضًا أن الفرصة كانت لاتزال قائمة للتراجع، فلو أن واحداً من الحاضرين تنبه في بداية الحفل للخادم المتنكر لما كان في ذلك ضرر حيث إن شيئًا لم يحدث، ويمكن قبول الأمر على أنه مزاح، ولكن أحداً لم يتنبه لحقيقة الخادم الذي يعرج قليلا في مشيته وسوالفه، والشامة على معصمه. وهي كلها علامات ظاهرة كان ينبغي أن يفطن إليها الكثير، ولكن قوة الملاحظة ضعيفة لدى أغلب الناس. كان منتحل شخصية الخادم يريد أن يزود المشاهدين بعلامة مميزة لأوصاف الخادم، ومضى أسبوعان دون أن يلاحظ أحد شيئًا من هذه العلامات، وكانت الآنسة "**ويلز**" هي الشخص الوحيد الذي لاحظها، وسوف نصل الآن إلى موقف الآنسة "**ويلز**"..

ما الذي حدث بعد ذلك؟ مات السيد "**بارثلوميو**".. لم يقل أحد في هذه المرة إن الوفاة طبيعية.. جاء رجال الشرطة وسألوا "**إيليس**" وبقية الموجودين، وفي وقت متأخر من تلك الليلة هرب الخادم من الممر السري وعاد إلى شخصيته الحقيقية. وظهر بعد يومين وهو يتنزه في حدائق "**مونت كارلو**" على استعداد للتظاهر بالصدمة عندما يسمع أخبار موت صديقه. اسمحوا لي أن أقول إن هذا مجرد

افتراض.. لم يكن لديَّ أي دليل، إلا أن جميع الأحداث التالية أيدت الافتراض.. كان البيت الذي أقمته من أوراق الكرتون مبنيًّا بطريقة جيدة. ماذا بشأن خطابات التهديد بابتزاز المال التي تم العثور عليها في غرفة "**إيليس**"؟ ولكن الذي اكتشفها هو السيد "**تشارلز**" نفسه! وماذا بشأن الخطاب الذي وصل إلى "**ماندرز**" يطلب فيه السيد "**بارثلوميو**" إلى الشاب تدبير حادث للظهور في المكان؟ حسن.. كان من السهل على السيد "**تشارلز**" أن يفعل ذلك.. لو أن "**ماندرز**" لم يتخلص بنفسه من الخطاب لفعل السيد "**تشارلز**" ذلك وهو يقوم بدور الخادم.. كما كان من السهل على "**إيليس**" أن يدس القصاصة الخاصة بالنيكوتين في مفكرة "**ماندرز**".

ونصل الآن إلى الضحية الثالثة.. السيدة "**دي راشبريدجر**". متى سمعنا لأول مرة عن السيدة "**دي راشبريدجر**"؟ بعد اختفاء الخادم "**إيليس**" مباشرة.. يحول السيد "**تشارلز**" الأنظار إلى تلك السيدة باعتبارها إحدى مريضات الطبيب.. ويذهب إلى المصحة ويوجه الأسئلة إلى كبيرة الممرضات..

يجب أن ندرس الآن الدور الذي لعبته الآنسة "**ويلز**" في هذه الدراما.. للآنسة "**ويلز**" شخصية غريبة، فهي واحدة من هؤلاء الناس الذين لا يستطيعون فرض تأثيرهم على الجو المحيط بهم. فهي ليست جميلة أو فكهة أو ذكية، ولكنها تتميز بقوة الملاحظة وشيء من الفطنة، وهي تنتقم من المزايا التي حُرمتها باستخدام قلمها.. تستطيع أن ترسم على الورق الشخصيات باقتدار، ولا أعرف ما إذا كان الخادم قد رأى من الآنسة "**ويلز**" شيئًا غير عادي، ولكنني أستطيع أن أقرر أنها الشخص الوحيد بين الحاضرين الذي استطاع أن يلاحظ شيئًا.. وقادها فضولها في صباح اليوم التالي لوقوع الجريمة إلى التجسس على الوجه الذي ذكرته الخادمة.. تسللت إلى غرفة "**داكريس**"، وذهبت إلى حجرات الخدم على أمل أن تكتشف شيئًا.

كانت الشخص الوحيد الذي سبب بعض القلق للسيد "**تشارلز**"، لهذا كان

حريصًا على أن يكون الشخص الذي يتحرى عنها، وقد طمأنته زيارته لها إلا أنها لاحظت الشامة على معصمه، ولكن الكارثة وقعت بعد ذلك.. لا أظن أن الآنسة "**ويلز**" كانت قد أدركت حتى تلك اللحظة الصلة بين "**إيليس**" والسيد "**تشارلز كارتر هوايت**".. كل ما فكرت فيه وجود تشابه غامض بين "**إيليس**" وبين إحدى الشخصيات.. ولكنها كانت قوية الملاحظة.. عندما قدم الخادم إليها الأطباق في العشاء لاحظت بطريقة آلية- ليس الوجه- ولكن اليد التي تقدم الأطباق.

لم يخطر ببالها أن "**إيليس**" الخادم هو السيد "**تشارلز**"... ولكن عندما تحدث إليها السيد "**تشارلز**" خطر ببالها فجأة أن "**إيليس**" هو السيد "**تشارلز**"! لهذا طلبت إليه أن يقدم إليها الطبق تمثيلا لما حدث في تلك الليلة، ولم يكن يهم ما إذا كانت الشامة على المعصم الأيمن أو الأيسر، كانت تطلب ذريعة لتدرس فيها اليدين.. أن ترى اليدين في الوضع نفسه بالنسبة إلى الخادم.. هكذا توصلت إلى الحقيقة ولكنها كانت امرأة غريبة.. كانت تستمتع بالوصول إلى الحقيقة لمجرد معرفة الحقيقة، فضلا على أنها لم تكن واثقة بأن السيد "**تشارلز**" هو الذي قتل صديقه.. لقد انتحل شخصية الخادم حقًّا.. ولكن ذلك لا يفترض بالضرورة أنه القاتل..

احتفظت الآنسة "**ويلز**" باكتشافها لنفسها واستمتعت بذلك.. ولكن السيد "**تشارلز**" كان قلقًا، ولم يرض عن تلك النظرة الخبيثة التي طالعها في وجهها عندما كان يهم بمغادرة الحجرة.. كانت تعرف شيئًا، ما هو؟ هل كان ذلك يؤثر فيه؟ لم يكن متأكداً، ولكنه كان يدرك أنه شيء يتصل بـ"**إيليس**" الخادم، السيد "**ساترزويت**" أولا، ثم الآنسة "**ويلز**" الآن.. يجب تحويل الانتباه عن هذه النقطة الحيوية. يجب أن ينصرف الانتباه إلى شيء آخر، وفكر في خطة سهلة وجريئة.

أتصور في يوم حفل الشراب الذي أقمته أن السيد "**تشارلز**" نهض في وقت مبكر من الصباح، وذهب إلى "**يوركشاير**" متنكرًا في زي متشرد، رث الثياب، وأعطى البرقية لصبي صغير ليتولى تسليمها لمكتب البريد، ثم عاد إلى المدينة في

الوقت المناسب ليمثل الدور الذي حددته له في الدراما الصغيرة، وقد فعل شيئًا إضافيًّا.. أرسل بالبريد طردًا يضم علبة شوكولاتة إلى سيدة لم يرها من قبل قط، ولا يعرف عنها أي شيء.

أنتم تعرفون ما حدث في تلك الليلة.. تأكدت من حالة القلق التي كان عليها السيد "**تشارلز**". إنه يشك في أن الآنسة "**ويلز**" لديها بعض الشكوك.. عندما انتهى السيد "**تشارلز**" من تمثيل دور الميت كنت أراقب وجه الآنسة "**ويلز**".. رأيت على وجهها علامات الدهشة.. أدركت عندئذ بما لا يدع مجالا للشك أنها ترتاب في الأمر.. إن السيد "**تشارلز**" هو القاتل.. عندما لعب دور الشخص الذي يموت مقتولا بالسم مثل الآخرين فكرت في أن استنتاجاتها السابقة كانت خاطئة.. لكن إذا كانت الآنسة "**ويلز**" ترتاب في السيد "**تشارلز**"، فلا شك في أنها تصبح في خطر شديد. فالرجل الذي قتل مرتين يستطيع أن يقتل مرة ثالثة، وقد أعلنت تحذيري.. اتصلت بالآنسة "**ويلز**" في وقت لاحق تلك الليلة بالتليفون، وغادرت بيتها صباح اليوم التالي فجأة بناء على نصيحتي.. وكانت منذ تلك اللحظة تنزل في هذا الفندق، وقد اتضح أنني كنت على حق؛ لأن السيد "**تشارلز**" ذهب إلى "توتنج" في مساء اليوم التالي في أثناء عودته من "**جيلنج**"، ولكنه وصل متأخرًا؛ لأن العصفور كان قد طار من القفص. وفي الوقت نفسه- من وجهة نظره- كانت خطته تعمل جيدًا، لدى السيدة "**دي راشبريدجر**" معلومات مهمة تريد أن تدلي بها إلينا، وماتت السيدة قبل أن تتكلم.. يا لها من دراما محبوكة الأطراف! مثلما نرى في الروايات البوليسية ونشاهد على خشبة المسرح والأفلام!

ولكنني أنا- "**هركيول بوارو**"- لم أنخدع.. قال لي السيد "**ساترزويت**" إن السيدة قتلت حتى لا تتكلم ووافقت.. ومضى "**ساترزويت**" يردد أن السيدة قتلت قبل أن تخبرنا بما تعرفه.. وقلت: أو بسبب ما لا تعرفه وأعتقد أن ذلك سبب له الحيرة، وكان ينبغي له أن يتنبه للحقيقة، قتلت السيدة "**دي راشبريدجر**"؛ لأنها لم تكن مرتبطة بأي شكل بالجريمة.. ومن ثم لم يكن أمام

السيد "**تشارلز**" إلا قتلها.. وهكذا لقيت سيدة غريبة لا تملك الضرر لأحد مصرعها..

وعلى الرغم من هذا النجاح الظاهري الذي حققه السيد "**تشارلز**"، إلا أنه ارتكب خطأ صبيانيًّا! كانت البرقية موجهة لي على فندق "**ريتز**"، ولكن السيدة "**دي راشبريدجر**" لم تكن لتعرف قط أن لي أدنى صلة بالقضية. وكانت تلك غلطة صبيانية..

حسن.. عند هذه المرحلة كنت قد عرفت القاتل، ولكنني لم أكن لأعرف بعد الدافع لارتكاب الجريمة الأصلية. أمعنت في التفكير مرة أخرى.. وبوضوح أكثر من أي مرة مضت رأيت أن قتل السيد "**بارثلوميو سترينج**" هو الأصلي.. وأنه مقصود.. ما السبب الذي يدفع السيد "**تشارلز**" إلى قتل صديقه؟ سألت نفسي: «هل تستطيع أن تخمن؟» ورأيت أنني أستطيع. علا صوت تنهيدة عميقة، ونهض السيد "**تشارلز**" ببطء وسار نحو المدفأة وظل واقفًا هناك ويده مرفوعة إلى فخذه ناظرًا إلى "**بوارو**".. كانت تشع من عينيه نظرات الازدراء التي يرمي بها الأرستقراطي إحدى الشخصيات الحقيرة، وقال السيد "**تشارلز**":

– أنت تملك قوة خارقة للتخيل يا سيد "**بوارو**".. ولست أحتاج إلى أن أقول إن كلمة واحدة مما قلت لا تمت للحقيقة بصلة. وكيف تواتيك الجرأة على أن تعلن على الملإ هذه السلسلة من الأكاذيب.. لكن تستطيع أن تستمر؛ لأنك تسليني.. ما السبب الذي يدفعني إلى قتل رجل كنت أعرفه منذ الطفولة؟ نظر "**هركيول بوارو**" البورجوازي الصغير إلى الرجل الأرستقراطي، واستأنف حديثه قائلا بثبات:

– يا سيد "**تشارلز**".. لدينا مثل شائع يقول: «فتش عن المرأة» عثرت على الدافع في هذا المثل.. رأيتك مع الآنسة "**ليتون جور**".. كان من الواضح أنك تحبها.. تحبها بتلك العاطفة المشبوبة التي تعصف بقلب رجل في منتصف العمر توحي بها في العادة شابة بريئة.. لقد أحببتها.. ومن رأيي أنها كانت تحبك حبًّا

صادقًا، كان عليك أن تتكلم وما عليها إلا أن ترتمي بين أحضانك، ولكنك لم تتكلم.. لماذا؟ تظاهرت أمام صديقك السيد "**ساترزويت**" أنك المحب الولهان الذي لا يلقى الاستجابة من معشوقته.. تظاهرت بأن الآنسة "**ليتون جور**" تحب "**أوليفر ماندرز**"، ولكنني أقول يا سيد "**تشارلز**" إنك رجل تعرف الدنيا جيداً، وإن لك تجارب عظيمة مع النساء، ولم تكن لتسمح لأحد بأن يخدعك.. كنت تعرف جيداً أن الآنسة "**ليتون جور**" تهتم بك، لماذا لم تتزوجها إذن؟ كنت ترغب في ذلك. لابد من أن هناك عقبة تقف في طريقك.. ترى ما تلك العقبة؟ يمكن أن تكون لك زوجة بالفعل، ولكن أحداً لم يتحدث من قبل عن أنك متزوج.. كان الجميع يعرفون أنك عزب.. إذن فالزواج قد حدث في فترة شبابك المبكر، قبل أن تصبح ممثلا مشهوراً.. ما الذي حدث لزوجتك؟ إذا كانت لاتزال على قيد الحياة، فلماذا لم يتحدث عنها إنسان؟ ولو أنكما كنتما منفصلين فأمامكما طريق الطلاق، لو أن زوجتك كانت كاثوليكية، أو سيدة لا توافق على الطلاق، فيمكن أن تستمر في الحياة بعيدة عنك.. ولكن هناك مأساتين لا يعطي القانون حلا لهما.. قد تكون السيدة التي تزوجتها تقضي فترة العقوبة في أحد السجون، أو ربما كانت نزيلة إحدى مصحات المجانين، ولن تستطيع أن تحصل على الطلاق في كلتا الحالتين، ولو أن شيئًا من ذلك حدث في أثناء فترة شبابك المبكر، فمن المحتمل ألا يعرف أحد شيئًا.

لو أن أحداً لم يكن ليعرف، تستطيع أن تتزوج الآنسة "**ليتون جور**" دون أن تقول لها الحقيقة.. ولكن نفترض أن شخصًا يعرف. صديق كنت تعرفه طول العمر؟ كان السيد "**بارثلوميو سترينج**" رجلا شريفًا وطبيبًا مستقيمًا، وربما شعر بالشفقة نحوك، وربما تعاطف معك لو أنك أقمت مع سيدة علاقة غير شرعية، ولكنه لن يقف مكتوف اليدين أمام زواجك بفتاة صغيرة لا ترتاب في شيء.. يجب أن يختفي السيد "**بارثلوميو سترينج**" من الوجود قبل أن تتزوج الآنسة "**ليتون جور**". ضحك السيد "**تشارلز**" ساخراً وقال:

– وماذا بشأن " **بابنجتون**" العجوز؟ هل كان يعرف هو أيضًا كل ذلك؟ قال "**بوارو**" بهدوء:

– هذا ما تخيلته في البداية، ولكنني سرعان ما اكتشفت أنه لا يوجد دليل يؤكد هذه النظرية، فضلا على أن العقبة التي كانت تعترض طريقي كانت لاتزال قائمة.. حتى لو أنك كنت الشخص الذي وضع النيكوتين في كأس الكوكتيل، فكيف تضمن وصول الكأس المسمومة إلى الشخص المعين الذي ترغب في التخلص منه؟ كانت تلك مشكلتي، إلا أن كلمة عابرة من الآنسة "**ليتون جور**" أنارت لي الطريق.. لم يكن السم مقصوداً به "**ستيفن بابنجتون**" بالذات، وإنما أي واحد من الحاضرين. مع ثلاثة استثناءات: الآنسة "**ليتون جور**" التي كنت حريصًا على أن تقدم لها كأسًا بنفسك، وشخصك، والسيد "**بارثلوميو سترينج**" الذي كنت تعرف أنه لا يحب الكوكتيل. صاح السيد "**ساترزويت**" باستياء:

– ولكن هذا هراء! التفت "**بوارو**" نحوه وقال بلهجة المنتصر:

– أوه! هناك نقطة غريبة.. وهي أول مرة يصادفني فيها دافع كهذا لارتكاب جريمة قتل.. لم يكن قتل "**ستيفن بابنجتون**" سوى بروفة أخيرة.

– ماذا تقول؟

– نعم.. كان السيد "**تشارلز**" ممثلا وقد أطاع غريزة التمثيل.. قام بإجراء بروفة لجريمته قبل ارتكابها.. كان واثقًا بأن الشكوك لن تتجه نحوه.. فلم يكن موت أي شخص من ضيوفه يعود عليه بأي نفع ولقد سارت البروفة النهائية على خير وجه.. مات "**بابنجتون**". لم يشتبه أحد في أن الوفاة غير طبيعية، وكان على السيد "**تشارلز**" نفسه أن يعرب عن شكوكه حتى تقابل بالرفض من الجميع، كما أن استبدال الكأس المسمومة بأخرى لم يلاحظه أحد. كان يريد في الواقع أن يتأكد عندما يرتكب جريمته الحقيقية أن الأمور سوف تجري كما يريد..

إلا أن الأمور كما تعرفون سارت في خط مختلف بعض الشيء.. كان أحد الأطباء موجودًا في المناسبة الثانية، واكتشف في الحال أن الوفاة حدثت نتيجة

للسم، وكان على السيد "**تشارلز**" أن يؤكد حقيقة موت "**بابنجتون**". يجب أن يفترض الجميع أن موت السيد "**بارثلوميو**" جاء كنتيجة للوفاة الأولى، ويجب أن يتركز الانتباه في الدافع لقتل "**بابنجتون**"، وليس على أي دافع لإزاحة "**بارثلوميو**" من الطريق.

ولكن شيئا غاب عن إدراك السيد "**تشارلز**".. الرقابة الجادة للآنسة "**ميلراي**".. كانت الآنسة "**ميلراي**" تعرف أن مخدومها يجري بعض التجارب الكيميائية في القلعة التي تقع في أطراف حديقته، كانت تسدد ثمن فواتير شراء محلول الرش، وأدركت اختفاء قدر كبير من ذلك المحلول، وعندما عرفت أن السيد "**بابنجتون**" مات مقتولا بسم النيكوتين، قفز عقلها الذكي في الحال إلى أن السيد "**تشارلز**" استخرج المحلول النقي للنيكوتين من محلول رش الحديقة.

كانت الآنسة "**ميلراي**" حائرة لا تدري ماذا تفعل؛ لأنها كانت تعرف السيد "**بابنجتون**" منذ طفولتها، وكانت غارقة إلى أذنيها كامرأة دميمة في حب مخدومها، وقررت في النهاية تحطيم الأجهزة التي يستخدمها السيد "**تشارلز**" في تجاربه، وكان السيد "**تشارلز**" نفسه شديد الثقة بنفسه إلى درجة أنه لم يفكر في التخلص من تلك الأجهزة، وذهبت الآنسة "**ميلراي**" إلى "**كورنوول**" وتبعتها. ضحك السيد "**تشارلز**" مرة أخرى، وقال باحتقار:

– هل تجد دليلك في مجموعة من الأجهزة الكيميائية القديمة؟ قال "**بوارو**":

– كلا.. هذا هو جواز سفرك يبين تواريخ سفرك من "**إنجلترا**" وعودتك إليها، وهناك حقيقة أخرى.. في إحدى المصحات العقلية في "**هافرتون**" تنزل سيدة تدعى "**جلاديس ماري ماج**"، زوجة "**تشارلز ماج**". كانت "**إيج**" صامتة طوال تلك الفترة تستمع بذهول إلى ما يدور حولها من حديث، ولكنها تحركت في تلك اللحظة من مكانها، وأطلقت ما يشبه صرخة الأنين، والتفت السيد "**تشارلز**" نحوها قائلا:

– "**إيج**".. لا أظن أنك تصدقين حرفًا واحداً من هذه القصة الملفقة؟

ضحك الممثل ويداه ممدودتان أمامه، وتقدمت "**إيج**" كالتي تسير تحت تأثير التنويم المغناطيسي، وقبل أن تصل إلى مكان وقوفه ترددت وتطلعت حولها كأنها تبحث عن العون، ثم سقطت فجأة وهي تصرخ وركعت تحت ركبتي "**بوارو**" قائلة:

– هل هذا صحيح؟ هل هذا صحيح؟ وضع "**بوارو**" كلتا يديه على كتفيها وقال بثبات:

– نعم صحيح يا آنسة. لم يعد يسمع في الحجرة سوى بكاء "**إيج**"، وبدا كما لو أن العمر قد تقدم بالسيد "**تشارلز**" سنوات وسنوات، وقال:

– عليك اللعنة!

لم يسبق للممثل طوال حياته أن نطق بمثل هذه الكلمات محملة بكل هذا القدر من الكراهية، ثم اتجه نحو الباب وغادر الحجرة.. وقف السيد "**ساترزويت**" ولكن "**بوارو**" هز رأسه وهو لا يزال يربت– برفق – كتف الفتاة الباكية، وقال "**ساترزويت**" معترضاً:

– سوف يهرب. هز "**بوارو**" رأسه وقال:

– كلا.. إنه لن يختار سوى باب الخروج.. إما الباب البطيء أمام أعين العالم، أو السريع الذي يطيح به من فوق خشبة المسرح.

فتح الباب بهدوء ودخل أحد الأشخاص.. كان "**أوليفر ماندرز**" قد زال عن وجهه التعبير الحانق على الحياة، وكان وجهه يبدو سعيداً.. انحنى "**بوارو**" نحو الفتاة قائلا:

– انظري يا آنسة.. ها قد جاء صديق لكي يصحبك إلى البيت. وقفت "**إيج**" ونظرت بتردد نحو "**أوليفر**" ثم خطت نحوه ببطء قائلة:

– "**أوليفر**".. خذني إلى أمي.. أرجوك أن تأخذني إلى أمي.. لف ذراعه حول خصرها ورافقها نحو الباب قائلا:

– نعم يا عزيزتي.. سوف أرافقك إلى البيت.. هيا بنا. كانت ساقاها ترتعدان

إلى درجة كادت تعجز معها عن الحركة، وسار "**ساترزويت**" بينهما، وعندما وصلت "**إيج**" بالقرب منه قالت:

– أنا بخير.. أومأ "**بوارو**" برأسه نحو "**ماندرز**" الذي عاد إلى الحجرة وقال له:

– كن لطيفًا معها.

– سوف أفعل يا سيدي.. إنها كل ما يعنيني في العالم. أنت تعرف ذلك.. كان حبي لها يملؤني بالمرارة والسخرية.. ولكن سلوكي سوف يتغير منذ اللحظة.. أنا على استعداد لمواجهة الحياة.. وربما استطعت في يوم من الأيام.

– أعتقد هذا.. أعتقد أنها بدأت تهتم بك.. إن عبادة البطل تمثل خطرًا داهمًا للشباب.. سوف تقع "**إيج**" ذات يوم في حب صديق، وعندئذ يكون حبها قائمًا على أساس من الصخر.. تابع "**بوارو**" الشاب بنظرات حانية وهو يهم بمغادرة الحجرة. وعاد "**ساترزويت**" في تلك اللحظة، وقال:

– سيد "**بوارو**".. لقد كنت رائعًا.. كنت رائعًا بحق.

– لم أفعل شيئًا.. لا شيء.. مأساة ثلاثية الفصول ولكن الستار قد أسدل عليها الآن.

– هل تسمح لي؟

– نعم.. أنت تريد مني أن أشرح لك شيئًا معينًا؟

– نعم.. هناك أمر واحد أريد أن أعرفه.

– أنا مستمع إليك.

– لماذا تتحدث الإنجليزية بطلاقة في بعض الأحيان، وفي مرات أخرى يحدث العكس؟ ضحك "**بوارو**" وقال:

– آه! سوف أشرح لك الأمر.. صحيح أنني أستطيع أن أتكلم اللغة الإنجليزية الفصحى. ولكن التحدث باللغة العادية له ميزة كبرى.. إنه يدفع الناس إلى التقليل من شأنك.. يقولون: هذا أجنبي.. إنه لا يستطيع التحدث بطلاقة.. وليس من سياستي أن أخيف الناس، إنني أدعوهم إلى التعاطف. كما أنني أبالغ!

هكذا ترى أنني أجعل الناس يفقدون حذرهم، بالإضافة إلى أن تلك قد أصبحت عادة.. قال "**ساترزويت**" ضاحكًا:

– يا إلهي! هذا هو سلوك الثعبان الماكر! سكت "**ساترزويت**" هنيهة ثم قال:

– أخشى أن أقول إنني لم أفعل شيئًا فيما يتعلق بكشف الغموض عن هذه القضية.

– على العكس.. لقد كشفت لي عن ملاحظة السيد "**بارثلوميو**" حال الخادم.. لقد كنت في الواقع تستطيع أن تحل القضية لو لم يكن لديك ردّة الفعل التي توجد عند المتفرج وهو يشاهد العمل الدرامي..

أشرق وجه "**ساترزويت**"، وصاح:

– يا إلهي.. لقد أدركت الحقيقة الآن.. ذلك الوغد كان يجرب بكأس الكوكتيل المسموم.. كان أي واحد منا معرضًا لأن يشربه.. ربما شربته أنا!

– هناك احتمال آخر أكثر سوءًا لم تفكر فيه.

– وما هو؟

– أن أكون أنا الضحية.

تمّت بعون الله

هذه هي أسماء وأرقام الروايات التي يمكنكم طلبها . . .

سارع في إرسال طلبك !

1 ابنة الفراعنة
2 جريمة الفندق
3 أخطاء القضاء
4 أدلة الجريمة
5 الإرث الدامي
6 أصابع الاتهام
7 امرأة خطرة
8 بصمات الأصابع
9 بواعث الجريمة
10 بيت الأهوال
11 التضحية الكبرى
12 الثلوج الدامية
13 الجثة التي اختفت
14 الجثة الثانية
15 جثة في المكتبة
16 الجريمة الأخيرة
17 جريمة أم
18 جريمة فنية
19 جريمة بلا شهود
20 الجريمة تدق الباب
21 جريمة حب
22 جريمة عائلية
23 جريمة على الشاطىء
24 الجرائم الثلاث
25 جريمة في بيت الطالبات
26 جريمة في الجو
27 جريمة في الصحراء
28 جريمة في قطار الشرق
29 جريمة قتل
30 الجريمة الكاملة
31 امرأة في مأزق
32 الجريمة المستحيلة
33 الجريمة المعقّدة
34 الشاهدة الوحيدة
35 جزيرة الموت
36 جنون الانتقام
37 الحادث
38 الحب الذي قتل
39 الحب والجريمة
40 ذات القناع الأسود
41 ذات الوجهين
42 رجل بلا وجه
43 غانية باريس
44 رصاصة في الرأس

اقطع الكوبون ، وضع علامة ☒ على رقم الروايات التي تريدها، وأرسله مع

الشيك بالبريد المسجل (المضمون) على العنوان التالي :

دار ميوزيك : ص.ب 374 - جونيه - لبنان

ملاحظة : جميع الشيكات باسم : Dar Music

وأن يكتب على الشيك عبارة " يصرف للمستفيد الأول فقط "

10	9	8	7	6	5	4	3	2	1
20	19	18	17	16	15	14	13	12	11
30	29	28	27	26	25	24	23	22	21
40	39	38	37	36	35	34	33	32	31
50	49	48	47	46	45	44	43	42	41
60	59	58	57	56	55	54	53	52	51
70	69	68	67	66	65	64	63	62	61
80	79	78	77	76	75	74	73	72	71
90	89	88	87	86	85	84	83	82	81
100	99	98	97	96	95	94	93	92	91

الاسم : ______________________

العنوان : ______________________

ص .ب : __________ المدينة : __________ الرمز البريدي : __________

الدولة : ______________________ Email:

مرسل طيه شيك بمبلغ : __________ دولار أمريكي .